

*Al-mu'tamar al-yahud  al- alam  wa al-waṭaniyy n
al-magh riba*

المؤتمر اليهودي العالمي والوطنيون المغاربة
1955-1944

محمد حاتمي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

المؤتمر اليهودي العالمي منظمة دولية تأسست سنة 1936 في مرحلة صعبة من تاريخ أوروبا والعالم، ومن أهم ميزاتها تأجيح الحملات المعادية لليهود في عديد من البلدان الأوروبية. وقد أوضحت الوثائق التأسيسية أن المؤتمر يعتبر نفسه بمثابة "الحكومة" الشرعية الممثلة لليهود المعمور، ومن واجبه النيابة عن الجماعات والجاليات اليهودية وتمثيلها أمام الحكومات والقوى العظمى والمؤسسات والمنظمات الدولية والإقليمية والوطنية، والدفاع عن الحقوق والمصالح اليهودية خاصة في البلدان والمجتمعات التي يتعرض فيها اليهود للاضطهاد والاعتداء والميز والتهميش، والعمل على توطيد علاقات الدعم بين الجماعات اليهودية ومساعدة أكثرها احتياجا، وتمكين يهود الدول المتخلفة من الوسائل الكفيلة بالرفع من مستواهم التعليمي والثقافي والديني حفظا للتراث اليهودي والقيم العبرانية وتعزيزا للهويات الذاتية. وقد حدد ناحوم غولدمان (Nahum Goldman)، وهو الرئيس الثالث للمؤتمر ودامت ولايته بين 1949 و 1977-وهي الفترة التي تهمنا في هذا البحث-، الأهداف العامة للمؤتمر اليهودي العالمي كالتالي: "يسعى المؤتمر إلى القيام بدور المستقطب الدائم للشعب اليهودي، وتقليص مجالات التشتت والتفكك الحاصلة في حياة اليهود وداخل الجماعات وإلى أن يكون الهيئة ذات الشرعية التي تمثلهم جماعيا وتتحدث باسم ستة عشر مليون يهودي لدى الأمم والحكومات والهيئات اليهودية نفسها."¹ وقد سعى المؤتمر اليهودي العالمي باستمرار إلى ضم جميع العناصر المكونة للشئات اليهودي بمن فيهم اليهود غير الصهاينة والمعادون

1. *Unity and Dispersion: History of the World Jewish Congress* (New York: World Jewish Congress, 1948): 33.

للصهيونية، على اعتبار أنه هيئة لا ييكية يههما أساسا أن يستفيد اليهود من الحقوق الطبيعية والمدنية والسياسية التي تقرها المعاهدات الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وقد جعل هذا المنحى تأييده المطلق للمشروع الصهيوني، قبل تأسيس دولة إسرائيل وبعده، لا يقترن وضرورة الانخراط في الأيديولوجية الصهيونية.

1. المؤتمر اليهودي العالمي بالمغرب: البدايات

بعث منظمو المؤتمر المنعقد في جنيف في غشت 1936، والمجتمعون أصلا من أجل تأسيس المؤتمر اليهودي العالمي، بدعوة إلى يحيى زاغوري لحضور اللقاء المرتقب،² على اعتباره ممثلا للمغاربة اليهود. وتمت الدعوة بناء على قرار خرجت به اللجنة الفرنسية الخاصة المكلفة بتنظيم انتخاب ممثلين عن يهود فرنسا (21 ماي 1936)، قضى بأن تخصص لدول إفريقيا الشمالية حصص تتوافق وعدد يهودها (أربعة ممثلين عن المغرب، ومثل عددهم عن الجزائر، وثلاثة عن تونس) ينضمون للبعثة الفرنسية الممثلة بعشرة أعضاء، ليشكلوا مجتمعين الوفد الفرنسي.³

وكان رد سلطات الحماية غاية في الصرامة، حيث رفضت إدارتها المركزية الترخيص بذهاب الزاغوري إلى جنيف، وبررت القرار بما يلي: "إن اليهود الأوربيين يهدفون إلى إعطاء المؤتمر طابعا النيابة المشروعة للشعب اليهودي من خلال تنظيم انتخابات في العالم بأسره. ولا يمكن للرعايا المغاربة اليهود التجاوب مع نداءات من هذا القبيل، وانتخاب ممثلين يشاركون في اجتماع جنيف."⁴ لقد وجد جاك بينتو (Jack Pinto) -وهو رجل أعمال من أصول مغربية مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية- نفسه وحيدا في وضع من يمثل المغرب. والواقع أن المؤتمر كان منشغلا خلال سنواته الأولى بالوضع في أوروبا، ولم يكن المغرب يدخل بتاتا في اهتماماته الكبرى.

2. استقطبت إدارة الحماية يحيى زاغوري لمواقفه المساندة للوجود الفرنسي منذ 1907، واتخذته الجزائر ليوطي مستشارا مكلفا بتنظيم الجماعات اليهودية وإصلاح القضاء الربي، فكان له الفضل في إصدار ظهير 1918، وهو نص تأسيسي يرمي إلى وضع إطار قانونية تشتغل داخلها الجماعات اليهودية المغربية. وقد عين سنة 1919 مفتشا للمؤسسات اليهودية، وظل على رأسها إلى 1937، وعرف عنه وفاؤه لإدارة الحماية وتعلقه بفرنسا وطموحه في أن تنعم الجمهورية على نخب اليهود بالجنسية الفرنسية وعارض بشدة الاستقطاب الصهيوني.

3. "Pour le Congrès Juif Mondial," *L'Avenir Illustré*, juin 1936: 13.

4. Robert Assaraf, *Une certaine histoire des juifs du Maroc* (Paris: Jean-Claude Gawsewitch, 2005): 348.

شكلت الحرب العالمية الثانية وبخاصة الإنزال الأمريكي على السواحل المغربية، منعظفا بارزا في تعامل المؤتمر اليهودي مع قضايا المغاربة اليهود. ففي إطار خطط ترمي إلى التركيز على مجالات جغرافية يعينها، حُصّ الشمال الإفريقي بعناية واهتمام أكثر لكونه منطقة حافظت على مجموع يهودها، وباتت تمثل خزاناً بشريا مؤهلا لتعويض ضحايا التصفية الجماعية في أوروبا. وعليه ومنذ الأشهر الأولى لسنة 1943، تأسس في نيويورك مكتب خاص بالشمال الإفريقي على رأسه إيطاران ساميان هما جاك بينتو (Jacques Pinto) وستيفن والكوفيتس (Steven Wolkowicz)، عينا بدورها أحد العارفين بالشؤون المغربية هو هيلير (B. Heller) الذي كلف بالانتقال إلى عين المكان حيث فتح مكتبا في العاصمة الجزائرية، وكان من بين أولى خطواته تعيين مندوب محلي هو المحامي إيلي غوزلان (Elie Gozlan)، الشخصية المعروفة والمشهود لها بالدفاع عن مصالح اليهود.

وانطلاقا من الجزائر، عمل هيلير ومساعدوه على ربط الاتصال بالنخب اليهودية المغربية، خاصة منها العناصر التي تشتغل في العمل الجمعي ولا تنتمي للدوائر المقربة من السلطات الفرنسية. ولتهيئة الظروف والنفوس لتأسيس خلية عمل مغربية، وجب القيام بزيارة لعين المكان (مارس 1944)، التقى خلالها أعضاء وفد المؤتمر بممثلين عن سلطات الحماية، وفتحوهم في مواضيع متنوعة من أهمها ضرورة إعادة هيكلة الهيئات الممثلة للمغاربة اليهود بشكل يجعلها قادرة على الرفع من أدائها ومردوديتها، وهو ما يتطلب توسيع الاختصاصات والانخراط في المنظومة اليهودية العالمية. والتقوا كذلك بممثلي الجماعات اليهودية المغربية ليطلعوهم على ما طرأ من مستجدات على الساحة الدولية، وما يطمح المؤتمر ومجموع المنظمات اليهودية العالمية إلى القيام به في مرحلة ما بعد الحرب. وكانت توصيات الوفد الزائر لمحاورهم اليهود واضحة، إذ أقرّوا بإدراكهم لحجم المساعدات المادية الواجب الإسراع بإرسالها ليستفيد منها المحتاجون من المغاربة اليهود، ولكنهم نبهوا إلى وجوب التعامل إيجابيا مع سلطات الحماية دون إهمال سلطات المخزن، خاصة السلطان بالنظر إلى العناية المتميزة التي ينحس بها رعاياه اليهود، وكذلك لما له من سلطة على الفاعلين من رجال المخزن في المناطق الهامشية. وأكد الوفد على

مسألة في غاية الأهمية، هي الرفض المبدئي من قبل السلطات الفرنسية والمخزنية على السواء لأي شكل من أشكال التدخل الخارجي المباشر، مما يستوجب مقاربة خاصة وتدرجية.

لم يكن عصيا على وفد المؤتمر إدراك صعوبة تكوين فرع مغربي بالنظر إلى حدة اختلاف الرؤى وترسخ الصراعات الشخصية. وقد باءت بالفشل فعلا عديد المحاولات الرامية إلى انتخاب مكتب ممثل. وتفاديا للقيام بأية خطوة غير محسوبة تزيد الأمور تعقيدا وتشنجا، شدد ممثلو المؤتمر على نقطة واحدة هي وجوب حصول الإجماع حول مشاركة وفد ممثل عن المغرب في أشغال المؤتمر الدولي المزمع تنظيمه في السنة اللاحقة بمدينة أتلانتيك سيتي (Atlantic City) الأمريكية. وبعد محاولات متكررة تبين فيها باللموس حجم الصراعات وعمقها، نجح الوفد القادم من الجزائر في عقد جمع عام بالدار البيضاء شاركت فيه غالبية الجمعيات العاملة في العاصمة الاقتصادية ومدن الداخل (27 مارس 1943)، انتهى إلى تعيين ست شخصيات اعتبرت أساسية (صامويل-دانييل ليثي من الدار البيضاء (Samuel-Daniel Levy)⁵، وجاك بينتو (Jack Pinto) من نيويورك، وهنري أبولكير (Henri Aboulkir) من الجزائر، والأستاذ علوش من الرباط، وبروسير كوهن (Prosper Cohen)⁶ من إيمازيغن (الجديدة)، والمحامية هيلين كازس بنعطار (Hélène Cazes-Benattar) من الدار البيضاء، وأربع شخصيات أخرى إضافية (ميناحيم مورسيانو من أسفي (MénaheM Murciano)، وحاييم طوليدانو من نيويورك (Haïm Tolédano)، وجاكوب بيرديغو (Jacob Berdugo)، وإسحاق عبو (Isaac Abbou)، أوكل إليها أمر المشاركة في المؤتمر والتحدث باسم المغاربة اليهود، وقد روعي في هذا الاختيار التنوع في التوجهات الإيديولوجية والانتماء الجغرافي.

5. من مواليد تطوان سنة 1874، تتلمذ في مدارس الرابطة اليهودية العالمية وحاز على الحماية البريطانية، فشغل عدة مناصب في التعليم ليستقر في آخر المطاف بالدار البيضاء؛ وكان من مؤسسي جريدة لافونير إلوستري، (*L'Avenir Illustré*)، لسان حال الصهاينة في المغرب. وقد انشغل بالشأن الاجتماعي حيث أسس عدة جمعيات نذكر من بينها:

La Maternelle, l'Aide Scolaire, le Centre Anti-Tuberculose, le Préventorium de Ben-Ahmed, l'Union des Associations Juives de Casablanca, le Comité d'Études Juives, l'institution Maghen-David, l'École Normale Hébraïque, l'œuvre des Bourses Abraham Ribbi, la Fédération des Associations d'Anciens Élèves de l'Alliance Israélite pour le Maroc, Le Centre Social du Mellah, le Keren Kayemeth Leisraël.

6. من مواليد مكناس، شغل منصب مدير في مدرسة الأليانس بأسفي.

وحتى يتحقق التحضير الجيد للمشاركة وتمكين الملف المغربي من استيفاء الحد الأدنى من الشروط، حضر للمغرب المكلفان عن مكتب الشمال الإفريقي. وبعد سلسلة من اللقاءات مع أهم الفاعلين الجمعويين، تمكنا من تكوين فكرة عامة عن حجم الاحتياجات وطبيعتها وسبل الاستجابة وتفعيل البرامج الناجعة. وفور عودتهما إلى نيويورك، قدما تقريرا مفصلا أمام اللجنة التنفيذية للمؤتمر، قساماه إلى عدة فصول. ودون السقوط في فخ الوصف الدرامي، عددت الوثيقة أهم مظاهر البؤس السائد في ملاحات المدن الكبيرة، خاصة ملاح الدار البيضاء. وتوافقا مع فلسفة المؤتمر القاضية بتغليب العمل من الداخل وجعل الدعم الخارجي مكملا وليس الأساس، أوضح التقرير أنه من شأن المساعدات الفورية الدفع بيهود المغرب إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في وقت قريب، والتطلع بعد ذلك إلى أن يأخذوا على عاتقهم تطورهم الذاتي. وشدد التقرير على ضرورة تخصيص ميادين بعينها بفائق العناية، وفي مقدمتها السكن الاجتماعي.

وفي ضوء توصيات التقرير، دعا المؤتمر ممثلي الجماعات المغربية إلى تحضير ملف كامل مقدم بشكل منهجي يكون بمثابة ورقة عمل على أساسها يتم تدارس قضايا يهود المغرب مستقبلا. وفعلا، عقدت في الدار البيضاء سلسلة من الاجتماعات حضرها ممثلون عن كافة الجمعيات المنخرطة في العمل الخيري. وقد ترأس لجنة الصياغة المحامي بول كالامارو (Paul Calamoro)، وتمكن أعضاؤها من صياغة تقرير مستوف للشروط، بعثوا به إلى نيويورك (غشت 1944). ووقع التشديد على خمس نقاط اعتبرت من الأولويات هي: الحصول على مساعدات مالية وتقنية لصالح المدارس ورياض الأطفال والمستوصفات والمستشفيات والهيئات المكلفة بالمساعدة والدعم، وفتح مدارس مهنية وصناعية بتنسيق مع السلطات الفرنسية والمخزنية، وبناء مساكن اقتصادية، وتشجيع الاستثمار في الفلاحة، وتأسيس وحدات صناعية مفيدة لاقتصاد البلاد. واستغل المشاركون الفرصة ليجمعوا على تشكيل الوفد الممثل في أتلانتيك سيتي، حيث عين الدكتور سامويل-دانييل ليثي رئيسا له، ويرافقه الأشخاص التالية أسماؤهم: جاك بيتو وميناحيم مورسيانو وبروسبير كوهين وحايم طوليدانو.⁷

7. Assaraf, *Une certaine histoire*, 477-481.

2. مؤتمر أتلانتيك سيتي

حضر الوفد المغربي فعلا في أشغال مؤتمر أتلانتيك سيتي (26-30 نونبر 1944)، غير عابئ بالرفض المبدئي لإدارة الحماية ورغما عنها. وكانت تلك أول مناسبة للحضور المغربي في هيئة عالية المستوى، اختار المنظمون لها شعارا معبرا هو "كل ما يهم اليهود يهمننا"، وهو شعار له دلالات واسعة عكست حجم طموحات المؤتمر في وقت حرج من تاريخ البشرية، أشارت كل الدلائل إلى أن الفترة المقبلة منه ستكون لا محالة مرحلة تغيرات جوهرية ستلعب فيها الولايات المتحدة دورا كبيرا وحاسما. للإشارة، فقبيل وصول الوفد المغربي، ورد في تقرير تحضيره أن "نظاما فاشيا مُقنعا ما يزال يسري في المغرب الفرنسي حيث مظاهر الميزماتشفية، من ذلك ما يقع حين توزيع المواد الغذائية فتحرم الساكنة اليهودية من المواد الضرورية اللازمة لتحقيق حد أدنى من العيش الكريم، من ذلك الحليب والزبدة وغيرها."⁸

وفي كلمته أمام المؤتمرين، شدد رئيس الوفد المغربي (صامويل-دانييل ليقي) على الوضعية الدونية لليهود "وهي وضعية طبعت التاريخ المغربي منذ قرون عديدة"، وأشار إلى طبيعة موقف السلطات المغربية من قضايا الأقلية اليهودية، وأوضح "حرص سلطان المغرب باستمرار على التعبير عن مشاعر نبيلة تجاه اليهود الذين يعتبرهم تحت حمايته، إلا أنه لا يعترف لهم بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعاياه المسلمون." وبعد ذلك، عرض أهم المواضيع التي تستلزم الاهتمام وإيجاد حلول عاجلة، وهي الوضع القانوني لليهود المغاربة، والأوضاع السكنية والصحية المزرية لأغليبتهم. وعمل بروسبير بيتو من جهته على عرض القضايا المتعلقة بالتعليم بأصنافه الثلاثة (الأساسي والتقني والديني)، وسعى خلال اللقاءات المختلفة التي عقدها الوفد على أن يحظى الموضوع باهتمام المؤتمرين. وفضلا عن ذلك، قدم المشاركون المغاربة ورقة عمل ناشدوا فيها الهيئات اليهودية العالمية بتقديم الدعم المالي والسند السياسي والأخلاقي للتخفيف من المعوقات والمشاكل التي تعترض الجماعات اليهودية المغربية، كما حثهم على العمل من أجل الرفع من مستواها العام. وشددت الورقة على النقاط التالية: "أولا: أن نمنح الوضع السياسي والقانوني الذي

يتلاءم وكرامتنا وطموحاتنا؛ ثانيا: أن يضمن للأطفال اليهود التعليم والتكوين في جميع المستويات؛ ثالثا: أن يوضع مخطط شامل لتحسين ظروف السكن، ويشرع في تطبيقه بغرض القضاء على السكن غير اللائق.⁹

ومهما يكن فقد مثلت المشاركة المغربية في مؤتمر أتلانتيك سيتي نقلة مهمة في تاريخ الجماعات اليهودية المغربية. ووفر اللقاء فرصة سانحة سعى خلالها الممثلون المغاربة للانخراط في المسارات اليهودية العالمية المشتركة، معتبرين الجماعات المغربية رافدا مهما من حيث العدد والإرث الثقافي، وفاعلا في مواجهة التحديات الآنية والمستقبلية. وشكل كذلك مناسبة لتسجيل القضايا المغربية في دفتراهمات الهيئات الدولية اليهودية، ذلك أن كثيرا من الفعاليات اليهودية المؤثرة-أفرادا وهيئات-أضحت على بيئة من طبيعة وحجم المشاكل التي تتخبط فيها الجماعات اليهودية المغربية.

والأهم من هذا وذاك تفتن المؤتمرين المغاربة إلى القوة "العظيمة" لليهود أمريكا الشمالية، وعزمهم على استثمار الاتصالات الشخصية التي تحصلت في الجلسات والكواليس. وخلال مقامهم، أدركوا عن قرب الغنى والاستعداد الكبير لليهود الولايات المتحدة للمشاركة للرفع من مستوى بني ملتهم في العالم، خاصة في المناطق التابعة لحلفاء مدينين لأمريكا بجميل تحريرهم من النازية وإعادة بناء بلدانهم. ودل على مدى إدراك الوفد المغربي للمسألة، أفراد بروسبير كوهين محتوى الفصل الخامس من تقرير المشاركة المغربية للأدوار الإيجابية التي يمكن لليهود أمريكا الشمالية الاضطلاع بها لصالح القضايا المغربية في اتجاهين، هما الضغط على الدولة الحامية وضخ اعتمادات مادية لازمة للرفع من المستوى العام لليهود. كما شكلت تلك المناسبة فرصة سانحة وقف فيها الوفد المغربي على القوة الجديدة التي اكتسبها الصهاينة على المستوى الدولي، فجعلت منهم بحق فاعلين مؤثرين في عالم ما بعدها الحرب.

ومباشرة بعد نهاية الحرب في أوروبا، بعثت سكرتارية المؤتمر اليهودي العالمي رسالة إلى المجموعة التي شاركت في مؤتمر أتلانتيك سيتي دعت فيها إلى تأسيس مكتب ممثل لكل الجماعات المغربية (18 يوليوز 1945). وفي رده

9. Prosper Cohen, *Congrès juif mondial: conférence extraordinaire de guerre, 26-30 novembre 1944* (Casablanca: Édition SIPEC, 1945), 131-133.

على المقترح (3 غشت 1945)، أكد صامويل-دانييل ليثي على استحسانه للفكرة واستعداده لتفعيلها. وبعد أسبوعين من الاتصالات (28 غشت 1945)، التأم مجموعة من الأطر اليهودية ممثلة لحساسيات مختلفة، فأستت المكتب المغربي للمؤتمر اليهودي العالمي، وانتخبت مكتبه التنفيذي المتكون من حاييم طوليدانو رئيسا، وبروسبير كوهين كاتبا عاما، وشولمان أمينا، وبول كالامارو وصمويل دانييل ليثي عضوين. وراعى الحاضرون عند انتخاب أعضاء المكتب المذكور أن تمثل كل "المناطق اليهودية الكبرى": الدار البيضاء والجديدة وفاس ومكناس والرباط-سلا والقنيطرة ومراكش والصويرة وأكادير وأسفي ووجدة.¹⁰

3. في أصول المراهنة على القوى الوطنية

كان المؤتمر على بينة من أن الهيئات اليهودية الكبرى، ومن أهمها المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية وغيرها، لا تولى الوضع في شمال إفريقيا أهمية تتوافق وما يتطلبه الوضع حقا. وكان رأيه أنها لا ترى غضاضة في أن تسوء الأمور أكثر حتى يضطر المغاربة اليهود للرحيل صوب إسرائيل. وعلى أساس اعتباره بأن وظيفته الرئيسية تكمن أولا في الرفع من مستوى معيشة الجماعات اليهودية الأكثر بؤسا والدفاع عنها أمام السلطات القيمة عليها، جعل من الاهتمام بوضع اليهود المغاربة ثاني أهم جبهات "النضال" من أجل "غد يهودي أفضل" (الجبهة الأولى هي وضع اليهود في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية).¹¹ وحدد الدكتور گولدمان في خطابه بمناسبة انعقاد الدورة العادية للمؤتمر سنة 1948، الأهداف المتوخاة من الاتصال بالهيئات والمؤسسات الحكومية والجمعية في المغرب، وشدد على الرغبة في إشرف المؤتمر على التنسيق بين الهيئات اليهودية التي تعمل من أجل "تحرير اليهود"، والدفاع عن حقوقهم المدنية والدينية. وأشار بالمناسبة نفسها إلى أهمية دور هبات يهود أمريكا الشمالية ومدى قيمة مساعداتهم لصالح الجمعيات اليهودية المغربية.

10. Steven D. Wolkowicz, *Mission to Morocco: a Report on Moroccan Jewry* (New York: World Jewish Congress, 1947), 25.

11. World Jewish Congress, *From Stockholm to Brussels: Policy and Action of the Jewish Congress 1959-1966*, Geneva, Report of the Fifth Plenary Assembly, 1966, 46.

كان على المؤتمر اليهودي قبل تحديد الخطوط العريضة لسياسته في المغرب، تحقيق شرط أساسي هو معرفة الأمور في عين المكان. ولهذا الغرض أرسل مبعوثا خاصا بات من العارفين بالشؤون المغربية هو ستيفن والكوفيتس (Steven Wolkowicz)، فقام خلال ستة أشهر من سنة 1946 بجولة في ربوع البلاد، والتقى بمسؤولين فرنسيين في الإدارة العامة والأقاليم وبممثلين من داخل مجالس الجماعات وخارجها وبثلة من الوطنيين المغاربة أيضا. وشرح لجميع محاوريه أهداف الهيئة التي ينوب عنها، وأوضح بالتفصيل تقنيات عملها ووسائلها في الضغط والتقرير والتنفيذ مع التنبيه إلى أهمية العلاقات الخاصة مع الإدارة الأمريكية. وعند عودته إلى نيويورك في يناير 1947، قدم تقريرا مفصلا عرض فيه خلاصات همت ثلاثة محاور هي العلاقات بين المسلمين واليهود والموقف اليهودي من السلطات الفرنسية والتحديات الراهنة والمستقبلية.¹²

وفيا يخص العلاقات بين المسلمين واليهود، أشار التقرير إلى أن الموضوع يتطلب إماما كاملا بكثير من العناصر التاريخية والجغرافية والإثنية وبطبيعة العلاقات المعقدة بين المكونات البشرية المختلفة، ناهيك عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لكل جماعة على حدة والاهتمام برصد مختلف التأثيرات الخارجية المتنوعة. وأشاد التقرير بأن المغرب بلد عريق له خصوصيات تجعل وضع اليهود متميزا ومرتبطا بوضع عام شيدت لبناته عبر تاريخ طويل، وتأثر بعوامل مختلفة جعلته يأخذ طابعا فريدا في العالم الإسلامي. وخلص التقرير من خلال عرض الجوانب التاريخية إلى نتيجتين، الأولى هي أن دخول المغرب تحت الحماية الفرنسية سمح لفئات عريضة من اليهود المغاربة بتحسين أوضاعهم المادية والروحية، إلا أنه لم يسفر عن تغيير حقيقي في النظم والقوانين، وظل وضع اليهود دون المستوى الذي حققه إخوانهم في الجزائر وتونس. وأما النتيجة الثانية فأقرت بأن العلاقات بين الجماعتين اليهودية والمسلمة تخضع لضوابط محددة ترمي إلى تغليب التعايش والتساكن.

وأشار التقرير إلى أهمية مضاعفات الحرب العالمية الثانية على المسارات السياسية والاجتماعية المغربية، وطبيعة العلاقات بين الجماعات اليهودية والأغلبية

12. Wolkowicz, *Mission to Morocco*, 25.

المسلمة، واعتبر الحركة الوطنية المغربية من أهم المستفيدين من الحرب لأنها اكتسبت مزيدا من القوة السياسية والأخلاقية والمرونة في التعامل. وشدد التقرير على نضجها السياسي، وموضوعيتها في تحديد الأسباب والعوامل التي أدت بالمغرب إلى الوقوع تحت السيطرة الفرنسية، وتصورها الواقعي لما يجب أن يكون عليه الوضع مستقبلا. وقد نبه الوطنيون في حواراتهم إلى أن طبيعة العلاقات التي ربطت بين المكونات البشرية للمجتمع المغربي في الماضي مثلت بحق أحد مظاهر الخلل الاجتماعي، وخلصوا إلى ضرورة تجاوز الإكراهات الدونية التي تستهدف العنصر اليهودي قانونيا واجتماعيا.¹³ ودل على نضج النخب المسلمة وتفهمها لقضايا اليهودية، امتناعها عن الانخراط في الحملة المعادية لليهود التي تورطت فيها السلطات الفرنسية في المغرب امتثالا لتعليمات نظام فيشي. لقد رفض المسلمون الدخول في العمليات المشينة التي طالت اليهود، بل أن العديد منهم عمل ما في وسعه للحيلولة دون تنفيذ التعليمات الأكثر ضررا. ولعب السلطان بطبيعة الحال دورا كبيرا في التحفيز على هذا النوع من المقاومة.

وشدد صاحب التقرير على عامل مهم يفسر إلى حد كبير إيجابية النخبة الوطنية المغربية، وهو إدراك المتنورين للدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في الدفع بالقضية المغربية إلى الأمام، وتزويدها بالدعم السياسي. والواقع أنه انطلاقا من سنة 1940، تعززت التمثيليات الدبلوماسية الأمريكية بالمغرب بكثير من الأطر والفعاليات التي أبدت اهتماما متزايدا بالأوضاع الداخلية، وارتبطت بصداقات مع كثير من الوطنيين. ودل هذا النشاط على أن الولايات المتحدة تعترم في وقت لاحق توظيف مكاسب مرحلة الحرب لاحتلال مواقع سياسية مهمة في المغرب. وزاد في يقين الوطنيين بإمكانية حصول نقلة جوهرية في الموقف الأمريكي، الوقع السلبي للدعاية الألمانية المعادية التي روجت لفكرة سيطرة اليهود على السياسة الأمريكية، فانتبه المسلمون إلى أن لليهود حماة أقوياء، وأن أي سند لصالحهم هو في حقيقته سند للمغاربة أجمعين ورافد إضافي يعزز القضية المغربية.

13. "انتبه أقطاب الحركة الوطنية إلى أن المعاملة السيئة لليهود المغاربة طيلة القرن التاسع عشر، شكلت أحد أسباب وقوع المغرب تحت الاحتلال،" نفسه، 3.

وفيما يخص تقييم الموقف من فرنسا، فإن التقرير لا يضبطه بشكل واضح ومنهجي. ويمكن أن نستنتج بأن الهيئات التي شكلت آراؤها الأساس في صياغته سواء كانت فرنسية أو مغربية (يهودية ومسلمة)، قد اعتبرت الإنجازات التي تحققت في عهد الحماية دون المستوى، وأن المغاربة برمتهم لم يستفيدوا إلا لماما من التطورات الحاصلة.

ولم يجد صاحب التقرير بدا من الإشارة إلى أن نظام الحماية قد ضمن لليهود المغرب حماية إضافية، ومكنهم من الاستفادة من مزايا كثيرة، لولاه لما توفرت لهم، وفي مقدمتها التعليم والسكن والصحة. وأوضح أن ميولات المسؤولين والموظفين والمقيمين الفرنسيين في المغرب المعادية للسامية لا تنم عن قناعات دينية مترسخة أو فلسفية مكتسبة، وإنما هي وليدة أوضاع خاصة أدت إلى حصول نفور من العنصر اليهودي، وتراكت عناصره لتنفجر إبان الحرب جراء انخراط نظام فيشي في سياسة معادية للسامية فرضها عليه النظام النازي. لقد اكتشف الكثير من الفرنسيين ممن اختاروا العمل في المغرب والإقامة به بغية استثمار طاقاتهم وأموالهم، أن أغلبية المجالات الاقتصادية هي إما حكر على اليهود أو تقع تحت هيمنتهم. وقد انجر المهاجرون الجدد مع التيار الذي يدعي أن الأوروبيين (المسيحيين) هم العنصر المؤهل أكثر لريادة المجالات المنتجة، وأن اليهود يشكلون عائقا أمام نمو المصالح الفرنسية في المغرب. وأفصح هؤلاء في فترة الأزمة عن حقيقة شعورهم، فترتبت عن الوضع الجديد مضاعفات خطيرة لليهود كان من الممكن أن تأخذ أشكالا أكثر درامية لولا الموقف المبدئي للمسلمين ووقوفهم ضد التنفيذ الصارم للتعليمات الرسمية والتجاوزات الفردية والجماعية.¹⁴

ورأى صاحب التقرير أن نهاية الحرب شكلت منعطفًا في تاريخ المغرب لأن الإدارة الاستعمارية دشنت لسيرة جديدة في تعاملها مع القضايا المغربية، وهو تحول دلت جل المؤشرات على أنه اتخذ منحى إيجابيا لليهود. وأرجع أسباب هذا التحول إلى عاملين اثنين: أولهما التعديلات الطارئة على الهياكل العليا لإدارة الحماية حين استقدمت أطرا متميزة مختلفة عن سابقتها التي تورطت في قضايا معادية للسامية. وصرح المسؤولون الجدد بأنه لا مبرر لمخاوف الجماعات والهيئات اليهودية الدولية

لأن الآفاق المستقبلية مفتوحة أمام الجميع، خاصة بالنسبة للعناصر المتعلمة والمتشعبة بالأفكار الغربية. ودفع هذا الاقتناع بالإدارة الفرنسية إلى تشديد المراقبة على العمل الصهيوني داخل البلاد لخشيته من أن يفضي لترحيل الجماعي لليهود إلى مضاعفات خطيرة على اقتصاديات البلاد، وعلى استمرار التعايش بين مكونات المجتمع (مسلمين ويهودا وفرنسيين ومستقرين في المغرب من جنسيات مختلفة)، وعلى وطبيعة العلاقات مع السلطان والسلطات المخزنية.¹⁵ وعموما تعتبر سلطات الحماية المهجرة المنظمة خطرا على مهمتها في المغرب، وهو ما جعل الهاجس الأمني يهيمن على سيرة السلطات تجاه النشاط الصهيوني، ودفع بالأجهزة الإدارية والأمنية في المركز والجهات إلى اتخاذ سلسلة من التدابير الاستباقية، وإصدار قرارات ترمي إلى الحد من الدعاية لصالح الكيان الصهيوني في فلسطين. وخلص التقرير إلى محدودية التغيير الحاصل بعد الحرب في المستويات العليا للإدارة الفرنسية بالمغرب، لأن أغلب أطرها معادية لليهود.

أما العامل الثاني وقد أولاه صاحب التقرير أهمية أكبر، فيكمن في تنامي نفوذ القوى الوطنية التي انتبعت إلى حصول بعض التراجع في هيمنة السلطات الاستعمارية. وأضحى الوطنيون على بينة من أن سبيلهم إلى فرض أنفسهم على الساحة يقتضي نهج برنامج متعدد العناصر، من أهمها التعليم العصري وإشراك المرأة في الحياة العامة. ونبعت الوثيقة إلى أن العمل الوطني يحظى بدعم السلطان ومباركته، بدليل حصول تعديلات جوهرية في خطبه الموجهة إلى مواطنيه، وإقدامه على قرارات جريئة مثل السماح لابنته الكبرى بالظهور في مناسبات عامة، وهي مسألة لا يمكن التقليل من وقعها. وأشار التقرير إلى مشاطرة الوطنيين المغاربة سلطانهم قناعاته فيما يخص الدور الذي يجب على المغاربة اليهود الاضطلاع به، وهو ما يفسر سعيهم إلى التقرب من اليهود واجتهادهم لخلق علاقات وطيدة معهم، واستغلال كل المناسبات والمنابر للتعبير عن موقفهم الثابت من وجوب تمتع اليهود بنفس الحقوق التي يحظى بها المسلمون، وأنه حين حصول المغرب على استقلاله سوف تتخذ كافة الإجراءات لضمان حقوق الأقليات وحفظ سلامتها وأمنها:

”تولي إدارة الحماية أهمية كبيرة لاستقرار اليهود في المغرب واستمرار بقائهم فوق أرضه. وقد قيل لي إن أطر الإدارة الفرنسية أعربت في مناسبات عديدة في حديثها مع النخب اليهودية، عن تخوفاتها من تنامي الحركة الصهيونية. إن الفرنسيين يخشون رحيل اليهود. ويمكن للمرء فهم هذا الشعور، فرحيلهم سيترك 340 ألف أوروبي وجها لوجه أمام 8 ملايين مسلم، وسيزيد حتما من صعوبات الإدارة الفرنسية في المغرب [...] إن الجيل المسلم الجديد على بينة من أن بلده فقدت استقلالها، وأن سبيله لتحريرها هو التعليم، لذلك رفع شعار ”المدرسة، المدرسة ثم المدرسة.“ ويعتقد هذا الجيل أن التحرير يعني حتما تحرير المجتمع بأكمله، رجاله ونساءه، فتحرير المرأة غاية يوليها أهمية كبيرة. وعلى الرغم من أن البلد ما تزال متشبثة بكثير من القيم القديمة، فإن الملاحظ يرى أن عددا مهما من النساء يتجولن في الشوارع، وإلى وقت قريب كانت اللواتي تتجرأن على التجول في المدن تقع عرضة للتعنيف والرجم [...] ففي نونبر 1946 بمناسبة حفل في القصر الملكي بالرباط، ظهرت بنت السلطان ذات الثمانية عشر ربيعا للعموم سافرة ولباس أوروبي. وخلال خطاب العرش لتلك السنة (18 نونبر)، أثار السلطان مواضيع جديدة كان لها أكبر الأثر على رعاياه، وعلى الأوروبيين الذين اعتبروا الخطاب مؤسسا لمرحلة جديدة، بعد أن كانت خطب السلطان في السابق مفعمة بالإحالات التقليدية.“¹⁶

وفي تعليقه على مواقف ممثلي الجماعات اليهودية من تصريحات الوطنيين، أشار التقرير إلى أنهم لا يعيرونها أدنى أهمية، ولا يعتبرون حسن النية ضمانا كافية لموالاتهم اعتبارا بتجربتي مصر وتركيا، وهما بلدان مسلمان لهما بعض أوجه الشبه مع المغرب من حيث حضور الأقليات ووزنها. ففي كلا البلدين، تنكرت العناصر الوطنية للالتزامات الأخلاقية التي قطعتها على نفسها في مرحلة ما قبل الاستقلال، فكانت النتيجة أن تضررت الأقليات وفقدت ما اكتسبته تحت نظام الحماية

الأجنبية. وأكد التقرير على أن مبادرات الوطنيين تجاه اليهود لم تؤت أكلها، وأنه إلى حد تاريخ صياغته لم تحصل اتصالات سياسية بين الطرفين بغية تشكيل جبهة موحدة لأن أغلبية اليهود المتعلمين ظلوا على ولائهم للقوة الحامية. وأشار إلى أن أحد أهم أسباب استمرارية هذا الولاء شبه المطلق، يكمن في الاعتقاد المستمر لأغلب اليهود المؤثرين في أن أصولهم إسبانية (أي أوروبية)، وبالتالي فهم يحسبون أنفسهم طرفا في الحضارة الغربية. ويفسر هذا الشعور إلى حد كبير استعدادهم للتعامل مع فرنسا على الرغم من جميع السوابق والعوائق المرحلية، شريطة "أن يترجم الفرنسيون نواياهم الحسنة إلى قرارات نافذة، ويعاملونهم معاملة لائقة".¹⁷

ومهما يكن، فقد أفصح تقرير والكوفيتس على كثير من العناصر ذات الأهمية استخلصها من لقاءاته مع ثلة من ممثلي السلطة الفرنسية والجماعات اليهودية والوطنيين. وما يهم بالضبط هو موقف الشريحتين الأخيرتين من بعضهما البعض، لكونه فصل في الحسابات التكتيكية والإستراتيجية المحددة لطبيعة المعاملات المباشرة بين الطرفين وحجمها. لقد أقرت الوثيقة بأن النخبة المسلمة المتنورة على بينة من أن مغرب الغد لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يظل محكوما بالأحكام التقليدية التي جعلت جزءا من مكوناته يعيش على الهامش سياسيا وثقافيا وقانونيا، كما أشار إلى إدراكها أكثر من أي وقت مضى حاجة المغرب للاستفادة من القدرات العلمية والتقنية لمواطنيه اليهود واستثمار وزنهم الاقتصادي ونفوذهم في عالم الأعمال والمعاملات، وهي أمور تقتضي الاجتهاد في وضع إطار قانوني عصري يضمن لهم حقوقهم كاملة. وأكد التقرير كذلك على أن اهتمامات النخب اليهودية المؤثرة-جملة وتفصيلا-مناقضة لاهتمامات مواطنيهم المسلمين حيث تظل وفيه لسيرتها التقليدية القاضية بالمرآنة على القوة المستعمرة، أي أن فرنسا في نظرها تمثل الضامن الرئيسي لمصالحها المادية والقانونية.

ثم إن تشديد التقرير على ضرورة تفهم مواقف الفاعلين المغاربة على اختلاف تكوينهم وانشغالهم وحساسياتهم، يفصح عن رغبة محرره في إعطاء أهمية متميزة لمسألة الحفاظ على علاقات متطورة مع الوطنيين، وعدم إهمال ورقة السلطان. إن البلد في نظره يمر بمرحلة انتقالية تسعى خلالها كل فعالياته الوطنية إلى تدشين

مرحلة جديدة في تعاملها مع بعضها ومع الهيئات الخارجية المؤثرة. إن السلطان والوطنيين ورجال المخزن كل وفق منطقته الخاص يعملون جميعا على التأقلم مع المستجدات المترتبة عن الحرب الكونية، ويجهدون لخوض معركة قادمة هدفها الحصول على الاستقلال. وأشار الكوفيتس في مناسبات كثيرة إلى أن المراهنة على فرنسا لا يعفي الهيئات الدولية اليهودية عموما، والمؤتمر اليهودي العالمي خاصة، من التعامل مباشرة مع السلطان وأقطاب الحركة الوطنية لأنهم يملكون من النفوذ ما يجعلهم راهنا ومستقبلا عناصر مؤثرة بشكل مباشر وفعال في السيناريوهات المحتملة.

وخلاصة القول إن أهمية التقرير تكمن بالدرجة الأولى في صياغته عند بداية سنة 1947، أي في وقت لم يصل فيه الصراع العربي-الإسرائيلي بعد إلى درجة الاصطدام العسكري، ومن ثم فإنه يعطي فكرة عامة عن الأوضاع القائمة قبل حصول "النكبة". ثم إنه فضلا عن استعراض حقائق ميدانية مهمة، أفصح عن جملة من النوايا المستقبلية للعمل اليهودي العالمي في المغرب، وعبر عن طبيعة "المشاعر" التي تريد الهيئة اليهودية العالمية زرعها في "قلوب" يهود العالم والقوى المستهدفة لنصرة قضايا المغاربة اليهود.

وبدت بعض تباشير الرغبة في تخصيص المغرب بوضع متميز خلال الدورة الثانية للمجلس التنفيذي للمؤتمر المنعقدة في يوليو 1948 بسويسرا، حيث كلف مكتب باريس بالعناية بالقضايا السياسية والثقافية والاجتماعية. وشددت الخطة المعتمدة على ضرورة تشجيع الفعاليات اليهودية المغربية المستقلة على التكتل في إطار مكتب جهوي يضم ممثلين عن دول إفريقيا الشمالية الثلاثة، يكون له من الفعالية ما يؤهله للحضور بقوة داخل الهيئات اليهودية المختلفة والتحادث مع السلطات الفرنسية والمغربية.¹⁸ ولهذا الغرض بالذات، عقد فرع المغرب اجتماعا

18. في نونبر 1952، نشر معهد الشؤون اليهودية التابع للمؤتمر تقريرا عن الوضع في تونس والمغرب، فصل في جملة من مظاهر الأزمة التي يعاني منها يهود شمال إفريقيا. ووضع التقرير في مقدمة المشاكل الكثافة السكانية في المدن وما ترتب عنها من مضاعفات اقتصادية واجتماعية للأغلبية العظمى من اليهود. والملاحظ أن كثرة الدراسات التي خص بها المؤتمر يهود المغرب لم تبدد من غلبة الصور النمطية وترديد المقولات المغلوطة.

Nehemia Robinson, *The Jews of French Morocco and Tunisia* (New York: Institute of Jewish Affairs, WJC, 1952).

موسعا بتاريخ 17 دجنبر 1951 بحضور مندوب المؤتمر لشمال إفريقيا جاك لازاريس (Jacques Lazares)، وانتخب مكتب جديد يرأسه الدكتور صامويل دانييل ليفي،¹⁹ كلف بالتحضير للمؤتمر المقترح مع التنصيص على بذل أقصى الجهود لضبط التحديات الراهنة وقتئذ وتحديد الوسائل الناجعة لمواجهةها.

وانعقد بالفعل لقاء موسع في مدينة الجزائر (7-9 يونيو 1952) وقع الاتفاق فيه على إعطاء قضايا يهود المغرب أولوية خاصة لأنهم "الأكثر احتياجا."²⁰ وقام گولدمان نفسه بزيارة عمل للمغرب سنة 1952 دامت أسبوعين (زار المغرب في السابق عدة مرات)، سعى خلالها إلى الوقوف على تطلعات الجماعات اليهودية والإمام بمواقف الشخصيات والزعامات.²¹ وعمل گولدمان على التخفيف من حدة الاختلافات في الرؤى بين المؤتمر والنخب اليهودية المحلية، حيث شدد في كلماته التوجيهية على ضرورة تحصيل توافق بين التيارات المختلفة بغية تحقيق مصلحة الشتات والدولة العبرية، كما اعتبر أن اهتمامات الاندماجين ممن يطمحون إلى تحسين الأوضاع العامة في المغرب نفسه لا يجب أن يحجب عنهم واجب تقديم الدعم-ولو أخلاقيا-للقضايا اليهودية الكبرى وفي مقدمتها مصير إسرائيل.

4. ردود فعل إدارة الحماية: مخططات تهميش المؤتمر

أولت سلطات الحماية في وقت سابق للحرب العالمية الثانية أهمية خاصة لمواقف المؤتمر اليهودي العالمي، ولم تكن تضمّر تخوفاتها من المضاعفات المحتملة لتلك المواقف على سلطتها ليس على اليهود المغاربة فحسب، بل على مجموع الساكنة المغربية قاطبة. لقد بُني الوجود الفرنسي على مجموعة من التوازنات البنيوية، ومنها التوازن بين الأغلبية المسلمة والأقلية اليهودية، وظلت الإدارة حريصة على عدم الإقدام على أمر يمكن أن تعتبره الأغلبية ميزا تستفيد منه الأقلية حصريا. ولما كان المؤتمر يرمي أساسا إلى تغليب كفة اليهود فقط دون أدنى اعتبار للمسلمين، فقد كانت مبادراته محط ريبة وتحفظ. والمثير هو أن الحكومة الفرنسية في باريس

19. "Le comité central marocain du CJM est constitué," *Noar*, 25, 12 janvier 1951.

20. "Après la conférence nord-africaine du Congrès Juif Mondial: Nécessité d'une solidarité organique de toutes les communautés juives dans le monde," *ibid.*, n. 52, 8 juillet 1952.

21. "Le docteur Goldman au Maroc," *ibid.*, n. 47, 13 mars 1952, 1 et 5.

كانت تخشى انتقادات المؤتمر لسياستها العامة تجاه اليهود، نظرا لقوة تأثيره داخل الأوساط السياسية والاقتصادية والثقافية الأمريكية.²²

والظاهر أن القوانين المعادية لليهود التي اتخذت زمن الحرب العالمية الثانية، جعلت إدارة الحماية تنفطن إلى اتساع الفجوة بينها وبين الجماعات اليهودية، وبشكل أكثر حدة مع النخب التي لم تستسغ ما طالها من التجاوزات.²³ وحتى يتسنى تدارك الموقف ورد الاعتبار لسلطتها على محميها اليهود، بادرت إدارة الحماية إلى إصدار ظهير 7 ماي 1945 الذي وسع من صلاحيات مجالس الجماعات، وسمح لها بالمشاركة في التسيير العام عبر تقديم اقتراحات محدودة.²⁴ وقد حصر النص الانتماء للمجالس التمثيلية على المغاربة اليهود فقط، وأقر الفصل الثامن إلزامية عقد اجتماع سنوي لرؤساء أهم الجماعات من أجل التشاور والتنسيق في إطار مؤسسة جديدة هي "مجلس الجماعات اليهودية المغربية" الذي حددت وظائفه الرئيسية في تمثيل السكان اليهود لدى السلطات المخزنية والفرنسية، وتقديم السند والمساعدة للأهالي، وتدبير شؤون الوقف اليهودي والمؤسسات الدينية وتنظيم الحياة الروحية.

واعتبر المؤتمر اليهودي العالم القوانين الصادرة مباشرة عقب الحرب مخيبة للآمال، لأنها لا تنص على حق اليهود في مباشرة وظائف عمومية، ولا تخصصهم بنسب معينة في الوظائف العليا والمشاركة الوزارية، بل ذهب إلى حد اعتبارها تمثل في الحقيقة تراجعاً عن تقاليد البلاد نفسها، لأن اليهود شغلوا في القرون الوسطى مناصب وزارية مهمة. وردت التقارير المرفوعة على اختلاف زوايا الاهتمام والتحليل، سبب الدونية السياسية والاجتماعية التي يعاني منها اليهود المغاربة إلى استمرارية مفعول قوانين الذمة، وجزمت باستحالة الانتقال إلى وضع أحسن دون التخلص من العقد والأعراف والممارسات الموروثة عنها.²⁵

22. MAE/Maroc 1950-53 (Ministère des Affaires étrangères), 22 b, Le ministre des Affaires étrangères au Résident général de France au Maroc, 29 janvier 1954.

23. Le Colonel Nouvel, Evolution du judaïsme marocain, CHEAM, Rabat, mai 1947 (dactylographié); Etienne Goidan, *Le sionisme au Maroc: Contribution à l'étude du judaïsme au Maroc*, CHEAM, Rabat, janvier 1946 (dactylographié).

24. Dahir du 7 mai 1945 (24 *joumada* 1, 1364) relatif à la réorganisation des comités des communautés israélites marocaines, in *BO*, 1945, 327.

25. World Jewish Congress, Aide-mémoire of Morocco: Legal Status of Moroccan Jewry, Addressed to His Excellency the Ambassador of France Henri Bonnet, New York, July 2, 1947.

وبصرف النظر عن ملابسات إصدار ظهر 1945، فإنه قد مثل -على الأقل من الناحية النظرية-، قطيعة مع نظام الأعيان التقليديين، إذ فسح المجال أمام ثلة من الفعاليات العصامية التي استمدت تمثيليتها من ثرائها المادي ونجاحها المهني. وقد عكس كذلك وجود رغبة في تهيئة الجماعات للعمل في إطارات أكثر استقلالية وديمقراطية، وتمكينها من تحصيل قدر أكبر من المداخل المالية لتلبية متطلبات اليهود المعوزين الكثيرة والمتزايدة. وسعت إدارة الحماية كذلك من وراء دعمها للعمل الخيري إلى توفير الظروف الموضوعية لبث روح الانسجام والتعاون والتخفيف من حدة الصراعات الشخصية بين الفاعلين اليهود، وهي مسألة راهنت عليها لتمكين الفئات الأكثر تضررا من الاستفادة من مشاريع الإصلاح. وعموما، فقد أفصح الظهير عن نقلة نوعية في التعامل مع ممثلي الجماعات، ذلك أن الإدارة باتت تعتبرهم -على الأقل من الناحية الأخلاقية- محاورين يمكن الاستفادة من إشراكهم في مراحل دراسة المشاريع وتنفيذها. ولتمكين الهيئة الجديدة من مباشرة العمل والحد من مبادرات المنظمات الأجنبية، وضعت الإدارة على رأسها شخصا محسوبا عليها هو جاك دهان (Jacques Dahan).

5. موقف الهيئات اليهودية المغربية من المؤتمر ومبادراته

كان لجاك دهان ومجموع النخب المكونة لمجالس الجماعات رأي خاص في مبادرات المؤتمر، فاعتبروها مبدئيا مشروعة ولازمة للدفع بإدارة الحماية إلى اتخاذ إجراءات قانونية أكثر شجاعة في حق الوضع القانوني لليهود، ورأوا في الدعم المالي والتقني مصدرا إضافيا يسمح بتحسين أداء الجمعيات والمؤسسات الخيرية. وفي المقابل، عارضوا اعتماده على عناصر عصامية من خارج الدوائر التقليدية، اعتبروها وصولية وتمررد على السلطة الفرنسية. ومن تداعيات هذا الموقف، رفض مجلس الجماعات الانخراط كعضو في المؤتمر²⁶ (كان نظيره في الجزائر وتونس عضوين كاملين لهما ممثلان في المكتب المركزي واللجنة التنفيذية).²⁷ والواضح أنه قد كان لهذا الموقف أثره الجلي على أداء المؤتمر وحضوره على الساحة اليهودية المغربية.

26. CZA/S6/242 (Central Zionist Archives), Memorandum from Dr. I. Schwarzbart to Dr. Goldman, November 14, 1949.

27. World Jewish Congress, *Survey of Politics and Action 1948-1953* (New York: World Jewish Congress Office, 1953).

وعلى الرغم من عدم معارضة الصهاينة المغاربة مبادرات المؤتمر الرامية إلى تحسين الوضع القانوني والمادي للمغاربة اليهود بدليل انخراط كثير منهم في هياكله المحلية، فإن مراهنتهم عليه كانت محدودة. وفضلا عما مارسه من ضغط على إدارة الحماية، فقد اعتبروه مسخرا لخدمة القضايا الصهيونية بطريقته الخاصة، من خلال ما يقدمه من مساعدات ترمي إلى الرفع من المستوى التعليمي والمهني للراغبين في الهجرة مستقبلا صوب إسرائيل.

ومن أسباب التهميش كذلك الموقف الصريح للرابطة اليهودية العالمية (L'Alliance Israélite Universelle) من كل ما من شأنه عرقلة مشروعها الرامي إلى الرفع من مستوى التعليم اليهودي، واعتباره رافعة أساسية للارتقاء الاجتماعي. لقد عارضت الرابطة تدخل المؤتمر في الشؤون المغربية معتبرة نفسها في مقام الهيئة الدولية الوحيدة المؤهلة للتحدث مع السلطات الفرنسية في كل ما يمس أوضاع الجماعات اليهودية.²⁸

وزاد من واقع تهميش المؤتمر ومحدودية تأثيره، غلبة العناصر الصهيونية على تشكيلة المكتب المنتخب سنة 1945، وسعيهم المنهج إلى إقصاء التيارات الأخرى خاصة الداعية منها إلى الاندماج في المجتمع المغربي والتي ترى أنه لا حاجة للتدخلات الأجنبية ما دامت الدولة الحامية ترعى المصالح وتمهد الطريق لتحقيق تحرر أكثر.

ومن الواضح أن الخلط بين ما هو صهيوني محض وما هو عمل اجتماعي، قد شكل عاملا سلبيًا ومعرقلا للتواصل مع إدارة الحماية. ولم تشمل هذه المسألة أعضاء الفرع المغربي لوحده، بل تضرر منها مبعوثوه الدوليون في محادثاتهم مع المسؤولين الفرنسيين الذين غالبا ما عز عليهم فهم واستيعاب ما يبتغيه المؤتمر حقا، وما هي أولوياته؟ فهل يتعلق الأمر بالسماح برحيل اليهود إلى فلسطين، أم بتحسين ظروف عيش غالبية بؤسائهم لتمكينهم من سبل الارتقاء إلى مراتب أسمى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا؟ ونجد خير تمثيل لهذه الحيرة ما تولد من انطباع

28. CZA/S6/315, From Dr. I. Schwarzbart to N. Goldman, Memorandum: Affiliation of Moroccan Jewry with the WJC, November 1, 1949.

عند المقيم العام ألفونس جوان (Alphonse Juin) نفسه، حين زاره مارك جاربلوم (Mark Jarblum) في دجنبر 1948. لقد حضر هذا المبعوث إلى الرباط ممثلاً للمؤتمر وتم استقباله على هذا الأساس، ولكنه في واقع الأمر كان يتحدث باسم ثلاث هيئات، وهي الفيدرالية الصهيونية لفرنسا (Fédération Sioniste de France)، والوكالة اليهودية (Agence juive)، ثم في مرتبة ثالثة الفرع الفرنسي للمؤتمر اليهودي العالمي (la section française du Congrès Juif Mondial). وكان موضوع الزيارة مزدوجاً يسعى أولاً إلى التفاوض في شأن المنع الذي يطال الهجرة صوب فلسطين، وإلى الوقوف ثانياً في عين المكان على الوضع العام لليهود المغاربة. وقد صعب على محاوريه معرفة حقيقة الجهة التي يتحدث بلسان حالها، وهل جاء ليتحدث باسم الوكالة اليهودية في القدس أم باسم المؤتمر اليهودي في باريس؟²⁹

والواقع أن أداء المؤتمر ميدانياً ظل محدوداً ودون المستوى، ويمكن الجزم بأنه هُمش لصالح هيئات أخرى تشتغل في المساعدات الاجتماعية والخدمات الصحية والتعليم بصنفيه التقليدي والعصري. ولم يتمكن المكتب المنتخب استهلال أنشطته إلا مع أواخر سنة 1949، حين عقد أول اجتماع موسع ترأسه طوليدانو بحضور اثني عشرة "شخصية رفيعة المستوى"، فتمت الموافقة على مجموعة اقتراحات تقدم بها مكتب المؤتمر في باريس.³⁰ والأهم من هذا وذاك أن تقيمه للحركة الوطنية المغربية وللوطنيين ظل ليراليا إلى أقصى حد. وفي بيان صادر عن مكتبه سنة 1951، وقع التنبيه إلى دخول المغرب في مرحلة جديدة غزيرة بالتغيرات بعضها جوهرية يستلزم من المسؤولين عن الجماعات أخذها بعين الاعتبار، وإجراء التعديلات اللازمة على خططهم القائمة على نهج سياسة تهدف إلى تحقيق مكتسبات لليهود فقط، في حين أن الحكمة تقتضي التنسيق مع الفعاليات المسلمة. وشدد المكتب المغربي على أن خط مجلس الجماعات المغربية "غير متعقل"، وأنه من قبيل "الإجرام" الاستمرار في نهج سياسة التغييب الجماعي وإهمال نوايا الوطنيين المسلمين.³¹

ومهما يكن فإن المؤتمر كان بعيداً عن الوثوق في الفعاليات اليهودية المحلية، واعتبرها مغرقة في الرجعية والانتهازية وقصر النظر. وقد عارضت أطره توجه مجلس الجماعات اليهودية المغربية—وهو في الأصل هيئة تعنى بالأمر الدينية

29. Michael Laskier, "Jewish Emigration from Morocco to Israel: Government Policies and the Position of International Jewish Organizations 1944-1956," *Middle Eastern Studies* 3 (July) (1989): 325-327.

30. (CZA)/S6/315, From Dr. I Schwarzbat to N. Goldman, *ibid*.

31. "Nos devoirs," *Noar* 41, 1951.

والاجتماعية-، الرامي إلى تحصيل الاعتراف بمهام إضافية تجعله أداة للعمل السياسي، إذ اعتبر المؤتمر ذلك الأمر مخوفاً بالمنزقات، لأنه يهدد بفقدان المجلس مصداقيته ويزج به في متاهات المزايدات والتلاعب بالمصالح.³²

6. تقييم الوضع العام غداة نفي السلطان

تزايد اهتمام المؤتمر اليهودي العالمي بوضع الجماعات اليهودية المغربية مباشرة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، فانتبعت أطر الفرع الأوروبي للمؤتمر إلى أن زمن الوجود الفرنسي في أراضي المملكة بات معدوداً، وأنه يستوجب التحرك بسرعة لسد الفراغ المترتب عن عجز مجلس الجماعات عن استغلال المرحلة لتحقيق حد أدنى من المكاسب القانونية والسياسية التي يمكن أن تؤمن للجماعات والأفراد وضعاً متميزاً داخل "الدولة المغربية الجديدة." ولبلوغ هذه الغايات، اعتمد المؤتمر مقاربات براغماتية وضعت نصب أعينها تأمين حق المواطنة كاملاً للراغبين في مواصلة الاستقرار في بلده الأم، وترك "الباب مفتوحاً" أمام الراغبين في الرحيل أينما ووقتما شاءوا ذلك. وبناء عليه، وجب عقد لقاءات مع الوطنيين حتى يتسنى وضعهم أمام مسؤولياتهم، والحصول على وعود وتعهدات قطعية.³³

والظاهر أنه من خلال متابعتهم لتطور الأوضاع في مجموع الدول العربية، خاصة بعد وصول الضباط الأحرار إلى الحكم في مصر، لاحظت أطر المؤتمر اليهودي أن موجة العداء لليهود أخذت أبعاداً لا يمكن ردها جميعاً إلى مضاعفات الصراع العربي الفلسطيني، واعتباره مصدرها الوحيد. وقد انتبهوا إلى أن القوى الوطنية المحافظة تساهم بطريقة أو بأخرى في الترويج لثقافة المعاداة لليهود، وهي مسألة تبعث على القلق وتستلزم اتخاذ تدابير عملية للحد من مضاعفاتها.³⁴ وبناء عليه، فإنهم قد جعلوا من ربط الاتصالات بالقوى الليبرالية في البلدان الإسلامية غاية مستعجلة، ظناً منهم أن لها ما يكفي من أدوات التأثير لتحويل وجهات الغضب الشعبي من استهداف اليهود ومصالحهم، إلى قوة إيجابية تهدف إلى تحقيق

32. CZA/Z6/842, Procès verbal de la réunion du Comité *ad hoc* des affaires marocaines du 11 octobre, 1954.

33. Jo Golan, *Feuilles de route: mémoires* (Paris: Riveneuve, 2009).

34. MAE/Maroc 1950-1955, 22b, Rogus Voums (Directeur du Service de Presse et d'Information de l'ambassade de France à Washington), à H. Bonnet (ambassadeur de France à Washington): "World Jewish Council" Conférence du Dr. Perlsweig sur la politique française en Afrique du Nord, 9 septembre 1954.

الانسجام بين الأغلبية المسلمة والأقلية اليهودية، في انتظار الوصول إلى توافقات عامة تضمن السلامة والأمن للجميع.³⁵ ولم يغفل المؤتمر ربط الاتصال مع السياسة الفرنسية ممن تعرف قناعاتهم التحررية وميولاتهم الليبرالية.³⁶

وفيما يخص الوضع في المغرب تحديداً، بدا من الضروري القيام بزيارة ميدانية لرصد مظاهر التوتر والوقوف على طبيعة مظاهر العنف ضد اليهود وتحديد حجمها.³⁷

تشكل الوفد من ثلاثة أطر "علياً" هم الدكتور إيسترمان (Dr. A.L. Easterman) (المسؤول عن شعبة الشؤون الدولية ومقرها بلندن)، وبيير درايفوس-شميت (P. Dreyfus-Schmidt) (المسؤول عن اللجنة السياسية للفرع الفرنسي للمؤتمر)، وجاك لازاروس (Jacques Lazarus) (مدير مكتب شمال إفريقيا ومقره بالجزائر العاصمة). وخلال مقامهم بالمغرب من 22 إلى 27 شتنبر 1954، أجروا سلسلة من المباحثات المطولة مع ثلة من الشخصيات الممثلة للجماعات اليهودية المغربية في أهم المدن كالددار البيضاء ومكناس والرباط والقنيطرة وفاس.³⁸ وقصد الحصول على المعلومات اللازمة لتقييم الوضع العام، وتحصيل الارتسامات والمشاعر المؤسسة للتيارات داخل النخب، وحصر مكامن الحيرة والقلق التي تتجاذب الفئات الشعبية، عمدوا إلى الحديث مع محاورهم على انفراد. والتقى الزوار كذلك مع المسؤول عن الفيدرالية الصهيونية المغربية، ومدير مكتب الهجرة بالددار البيضاء،³⁹ ونائب القنصل البريطاني بالرباط، ثم في مرحلة أخيرة مع الكاتب العام لإدارة الحماية الذي استقبلهم نيابة عن المقيم العام فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste)، الموجود وقتئذ في مهمة بباريس. ومكتتهم كل هذه اللقاءات من تكوين صورة عامة عن الأوضاع في المغرب، وتلمس كثير من العناصر المكونة للوضع "غير الواضحة" لليهود، أهمها ما يلي:

35. The World Jewish Congress, *Survey of Policy and Action 1948-1953* (New York: World Jewish Congress Office, 1953): 39.

36. CZA/S6/1017, Lettre de N. Goldman à Pierre Mendès-France, New York, 18 octobre 1955; CZA/S6/843, Meeting with President Mendes-France, Paris, 3 septembre 1954.

37. CZA/Z6/2207, A. L. Easterman: *Conference of Jewish Organisations, Summary Report of the Jewish Situation in North Africa* (Morocco and Tunisia), London, May 1958.

38. CZA/S6/852, World Jewish Congress: Note on Inquiry of the Jewish Situation in French Morocco, October 1954.

39. فتح هذا المكتب أبوابه بالددار البيضاء في الربع الأخير من سنة 1949، بموجب اتفاق بين المقيم العام جوان (Jain)، ومبعوث الوكالة اليهودية (غرشوني). وينص على تقنين الترحيل الجماعي المنظم للمغاربة اليهودية وفق مبدأ الكوتا، شريطة أن تمر جميع العمليات في تستر تام، وأن لا يؤثر التهجير على التوازنات المحلية والوطنية.

- تنامي مشاعر التخوف خاصة بعد التدهور الظاهر في الأوضاع الأمنية جراء تكرار العمليات "الإرهابية"، واحتدام مشاعر الكراهية، وارتفاع وتيرة المقاومة الشعبية في وجه كل ما هو أوروبي عموماً، وفرنسي خصوصاً. وكرست الأحداث التي عرفتها مدينة سيدي قاسم (Petit-Jean) هذا الشعور،⁴⁰ فأصبح عاماً حتى في الجماعات الصغيرة المستقرة في الأطراف النائية للمملكة. ويتمركز جل هؤلاء المدعورين في الملاحات والقرى والدواوير، وقد أعربوا والحالة هذه عن استعدادهم للهجرة نحو إسرائيل في حينه أو في أقرب الآجال. أما الفئات المتوسطة والبرجوازية والتجار وأرباب الصناعات، فقد لوحظ عندهم وجود نزعة تعتبر الأزمة طارئة وغير دائمة، وهو ما يفسر عدم استعدادهم للهجرة إلى إسرائيل.

- اعتبار حزب الاستقلال مسؤولاً رئيسياً عن تدهور الوضع الأمني؛ فقاداته ونشطاؤه المتطرفون يجوبون أرجاء البلاد للرفع من معنويات المتعاطفين، وترسيخ تأثيرهم على الشبيبة أساساً عبر تأكيد خطابهم على الولاء المطلق للسلطان المنفي الذي يعتبرونه ضماناً لعروبة المملكة الشريفة وإسلامها. وزاد غياب أهم الزعماء خارج المغرب من تشدد الحزب، وبالتالي فإن أعمال العنف غير مؤطرة (لا يمكن الحد من قوتها ولا ضبط قنوات عملها وغاياتها). ثم إن الحزب يتمتع بالسند من جامعة الدول العربية، وهو عنصر قوة زاده قيمة حصوله -ولو معنوياً- على دعم الولايات المتحدة الأمريكية وتعاطفها. وأشار أصحاب التقرير إلى أن حزب الاستقلال "ليس بالحزب المعادي لليهود"، ولكن زعماءه لا يستسيغون "الموقف السلبي المحايد" لليهود المغاربة الذين يعطون انطباعاً مفاده وكأن الصراع الحالي لا يهمهم، وأن فرنسا مفوضة للدفاع عنهم وعن مصالحهم.

- انعدام الثقة في المستقبل مهما كانت طبيعة المتغيرات التي قد تتمخض عن أعمال العنف. وحتى في حال الوصول إلى حل مقبول من قبل الجميع، فإن "المسلمين" قد يحصلون على القسط الأوفر من السلطة، وهو ما يعني العودة

40. خلال الأيام الأولى من شهر غشت 1954، أي على بعد أسابيع من تاريخ 20 غشت، نظمت مظاهرات شعبية في مدينة سيدي قاسم، انطلقت من الأحياء المسلمة واستهدفت أساساً المتاجر اليهودية، وسقط قتيلاً ستة يهود. وقد تحدثت الصحافة اليهودية عن "بوغروم حقيقي"، واستغل الصهاينة الحدث لإعادة جدولة عمليات الترحيل الجماعي صوب إسرائيل.

إلى ممارسات شتى تقصي اليهود من المشاركة أو تحد منها في تسيير الشأن العام. ويفسر هذا الشعور تنامي الرغبة في الهجرة (ليس بالضرورة إلى إسرائيل)، وتشديد من يرغبون في البقاء على أن يأخذ المشكل اليهودي حيزا حقيقيا في جميع التدابير الممهدة لحل القضية المغربية. وفيما يخص النقطة الأخيرة، أشار زعماء الجماعات إلى أن أحسن الخطوات تكمن في حصول اليهود على اعتراف رسمي بحقوقهم المدنية، وعلى حماية قانونية داخلية ودولية تمارسها عدة دول مثل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

والواقع أنه لم يكن من الصعب على واضعي التقرير الانتباه إلى أن الوضع خطير حقا، وإلى احتمال وقوع تجاوزات شعبية قد يكون اليهود "دون أدنى شك" أول ضحاياها، لعدم وجود من يحميهم كما أكدت ذلك التجارب السابقة في وجدة (1948) وسيدي قاسم (1954). وأشاروا صراحة إلى عدم جدوى الاتكال على مجلس الجماعات اليهودية المغربية للقيام بمبادرات إيجابية وناجعة لسبيين، أولهما كونه مشلولا بسبب الصراعات الشخصية الداخلية، وثانيهما لأنه يلعب ورقة فرنسا إلى أقصى الحدود. وخلصوا إلى ضرورة التعامل مع الوطنيين المغاربة لأنهم يمثلون وقتئذ القوة الوحيدة القادرة على التحكم في ضبط الشارع المغربي والتخفيف من حدة التوتر الذي تعانیه الجماعات والأفراد، فضلا عن كونهم مؤهلين أكثر لتوفير الضمانات الآنية والمستقبلية الكفيلة بتمكين اليهود المغاربة الراغبين في البقاء من الحقوق المدنية والدينية من جهة، والعاقدين منهم العزم أيضا على الهجرة من إتمام مشروعهم في أحسن الظروف من جهة أخرى.

واعترفت أطر المؤتمر الوضع في المغرب مختلفا جملة وتفصيلا عن مثيله في تونس، لأن درجة العنف ارتفعت منذ تاريخ نفي السلطان فأضحى من الصعب التحكم في تحركات المقاومة، ولأن أهم الزعامات الوطنية أجبرت على المنفى، ولأن الشخصيات اليهودية المغربية ترفض التحاور مع الوطنيين المغاربة.⁴¹ ورجحت كفة الاتجاه العام لأطر المؤتمر نحو الإسراع إلى ربط اتصالات شخصية مع الوطنيين

41. CZA/Z6/2207. A. L. Easterman: *Conference of Jewish Organisations, Summary Report of the Jewish Situation in North Africa (Morocco and Tunisia)*, London, May 1958.

المغاربة ودعمهم في نضالهم شريطة أن لا يؤدي الأمر إلى الدخول في صراع مباشر مع الدولة الفرنسية، أو حتى التشويش على العلاقات بينهما. وبناء عليه، وحتى قبل الشروع في ربط الاتصالات الأولى مع الوطنيين، بادرت أطر المؤتمر إلى فتح قنوات الاتصال مع السلطات الفرنسية للحدّث في موضوع مستقبل المغرب، فترددت بكثرة على الخارجية الفرنسية بباريس والسفارة الفرنسية في واشنطن.⁴² ومن البديهي أن يكون النموذج التونسي قد ساهم كثيرا في الدفع بأطر المؤتمر إلى ربط علاقات خاصة مع الوطنيين المغاربة، ذلك أن الزعماء التونسيين قد أكدوا في تصريحات كثيرة—خلال سنة 1954 وبعدها—على وجوب تمتع اليهود التونسيين بكافة الحقوق المدنية والقانونية التي ينعم بها المسلمون.⁴³

7. بداية الحوار مع الوطنيين المغاربة

تفطن الوطنيون المغاربة على اختلاف انتماءاتهم الحزبية وميولاتهم الإيديولوجية، إلى أن سبيلهم للوصول إلى غايتهم السامية (الحصول على الاستقلال) يمر حتما عبر تدويل القضية المغربية، وعرضها أمام الهيئات الدولية الأكثر تأثيرا. ولم يصعب عليهم الانتباه إلى اعتراض سبيل هذه العملية عراقيل وصعوبات كثيرة، لأن الجهات المهيمنة على الهيئات المؤثرة تنتمي غالبا إلى المعسكر الذي تنزعه الولايات المتحدة، مما يستلزم تركيز الجهود على إقناع ذوي النصيب الأوفر في التأثير على صناعة القرار في العاصمة الفيدرالية الأمريكية. وأدرك الوطنيون كذلك أن تجاوز الصعوبات يستلزم من جهة أولى التحرك بطريقة أكثر سرعة ومهارة من "الخصم" الفرنسي الذي تربطه بالولايات المتحدة مصالح إستراتيجية واقتصادية وروابط ثقافية وحضارية لا يستهان بها، ومن جهة أخرى التفصيل في العناصر المكونة لمواقفهم في قضايا حساسة تعتبرها الهيئات المؤثرة جوهرية مثل الموقف من الصراع بين المعسكرين وطبيعة النظام السياسي المرغوب اعتماده مستقبلا وحجم الضمانات التي تؤكد صدق النوايا وقضايا أخرى جوهرية وأساسية.

42. CZA/S6/3121, Cable from Paris: Relations with Moroccan Nationalists, November 18, 1955.

43. Jacques Lazarus, "L'Avenir des communautés juives de Tunisie et du Maroc," *Information Juive* 58, août-septembre (1954): 1.

وتدل كثير من المؤشرات على أن الزعماء الوطنيين الأكثر حركية في المجمع الدولية، قد تسلحوا بحس دبلوماسي عال جعلهم باستمرار على أهبة الاستعداد للرد بمهارة على ما يسألون عنه، وبشكل يجعل أجوبتهم في الغالب تتحلى باللباقة وتتحاشي الإعراب عن التزامات قطعية، وتدخل علاقاتهم المتميزة مع أطر المؤتمر اليهودي العالمي في هذا الإطار.

ويعود الفضل إلى روبر بارا (Robert Barrat)-الكاتب العام لجمعية فرانس-ماغريب (France-Maghreb)- في تقديم أقطاب الحركة الوطنية المغربية إلى أطر المؤتمر اليهودي العالمي عند مستهل سنة 1955، وذلك في إطار مجهودات الجمعية لتحسين "العلاقات بين أطراف المعادلة المغربية وتحسين العلاقات بين فرنسا وشعوب إفريقيا الشمالية." وكان أول من وقع الاتصال به هو عبد الرحيم بوعبيد الذي قام فيما بعد بتقديم عمر بنعبد الجليل ثم الباشا البكاي. وشجع زعماء الاستقلال-خاصة علال الفاسي وأحمد بلافريج- هذا الانفتاح، حيث أعرب هذا الأخير عن رغبته في الاتصال مباشرة بأطر المؤتمر إما في إسبانيا أو سويسرا.⁴⁴ والواقع أن حسابات الوطنيين كانت واضحة و"بسيطة"، واستهدفت تحقيق مكاسب على ثلاثة مستويات:

- التأثير على اليهود المغاربة وكسبهم لصالح القضية المغربية، وتشجيع فعاليات يهودية من خارج الدوائر المتعاملة مع السلطات الفرنسية على الالتحاق بصفوف الحركة الوطنية، ليكون لها مستقبلا نصيب من المناصب العليا في تسيير الشأن العام الوطني وتديره.⁴⁵

- كسب تأييد الرأي العام الفرنسي عبر التأثير على السياسيين اليهود الفرنسيين والمتعاطفين معهم.

44. CZA/S6/949 A.L. Easterman (Le Département du Moyen-Orient) à Golan, Perlzweig et Reigner, Maroc: Rencontre avec son Excellence Si Bekkai ancien pacha de Sefrou, Si Hadj Omar Abd Ej' Jellel et Mr Abdelrahim Bouabid, Paris, 31 janvier 1955.

45. CZA/S6/2425, from G.M. Reigner to Mr. L. Perlzweig and A. L. Easterman: Relations with National Movements in Morocco, Geneva, March 14, 1955.

- التأثير على صانعي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية⁴⁶-الذين اتسم موقفهم حتى نهاية سنة 1954 بالسلبية تجاه القضية المغربية-، لأن في استمالتهم ما هو كفيلا بتسهيل المأموريات داخل أروقة منظمة الأمم المتحدة.⁴⁷

وعقد الوطنيون المغاربة آمالا كبيرة على المؤتمر اليهودي العالمي لتمهيد السبل أمام إجراء اتصالات مع شخصيات أمريكية نافذة داخل الحكومة الفيدرالية والإدارة المركزية والمنظمات والتنظيمات واللوبيات المؤثرة.⁴⁸

وتحمس البكاي أكثر من غيره لربط علاقات مع المؤتمر، إذ اعتبر "الدخول في حوار بناء وصريح مع أطر المؤتمر تطورا مرغوبا فيه لأنه يؤدي حتما إلى ربط علاقات مباشرة مع الهيئة السياسية الأكثر تمثيلية ليهود العالم". وقد آمن باشا صفرو السابق-المدينة التي تعيش بها جماعة يهودية مهمة ونشيطة- بأن مستقبل المغرب مرتبط بتحسين وضع اليهود المغاربة، وإعطائهم ما يكفي من الضمانات القانونية والاجتماعية التي تجعلهم يحسون حقا بأن الدولة المغربية هي حاميتهم الأزلية. ورأى كذلك أنه في حال حصول المغرب على استقلاله الكامل، فإن اليهود سيكونون مدعويين إلى الاضطلاع بأدوار مهمة في الحفاظ على التوازنات الاقتصادية وتأمين قطاعات الخدمات. وعليه وفور الاتصال به في بداية سنة 1955- في وقت كان فيه الباشا الكلاوي ما يزال سيذا للموقف في المغرب-، أفصح البكاي عن أنه يجذب أن يضم مجلس الوصاية على العرش- في حال تفعيله- ممثلا واحدا على الأقل عن الجماعات اليهودية المغربية، وصرح لمحاوريه بأنه يعول عليهم في اختيار الرجل المناسب، وقد أيده في رأيه هذا عمر بن عبد الجليل.

46. تنهت إدارة الحماية أيضا إلى أهمية الرأي العام الأمريكي في التأثير على موازين القوى في المغرب، فعملت على مواجهة الحملات الدعائية التي كانت تعتقد أن حزب الاستقلال يقف وراءها، وقامت بإرسال بعثة مغربية على رأسها محمد المختار التمساني (مستشار المجلس الوزاري في الإعلام والعلاقات الثقافية) مصحوبا بثلاثة موظفين كبار هم عبد الحميد الحجوي (مستشار في الإذاعة المغربية)، وعبد الرحمن الكثيري (خليفة باشا القنيطرة)، وإدريس البلغيثي (مهندس). وبقي هؤلاء شهرين ونصف في أمريكا ألقى خلالها التمساني محاضرات في بعض الجامعات، وأجرى لقاءات صحافية واجتماعات متكررة مع كثير من الجمعيات والهيئات وزعماء اللوبيات. ولم يلتق الوفد المغربي بأية منظمة يهودية.

MAE/Maroc 1953-1959, 24, Gontran de Juniac (Ministre plénipotentiaire chargé d'affaires de France aux Etats-Unis) à Pierre Mendès-France (Président du Conseil et Ministre des Affaires étrangères): Mission M. Tamsamani, décembre 1954.

47. CZA/S6/2425, from G.M. Reigner, ibid., 1.

48. CZA/S6/2421, From M.L. Perlzweig to N. Goldman: Crisis in Morocco, September 30, 1955.

وازداد حماس أطر المؤتمر اليهودي العالمي للرفع من مستوى حجم العلاقات المباشرة وطبيعتها مع الوطنيين المغاربة،⁴⁹ حين تبين لهم فشل المبادرات الرامية إلى الدفع بمجلس الجماعات اليهودية المغربية للقيام بذلك.⁵⁰ ثم إنهم ازدادوا اقتناعاً بإمكانية استعمال التجربة المغربية في حال نجاحها-كنموذج للتعاون بين شعب مسلم ويهود العالم، وكوسيلة للحد من التوتر بين الدول العربية المشرقية ودولة إسرائيل.⁵¹

وقد كلف ناحوم گولدمان أقرب مساعديه بملف العلاقات مع الوطنيين المغاربة، وحثهم على توظيف مهاراتهم في المزج بين أسلوب المرونة الدبلوماسية والصراحة السياسية. وفعلاً، حصلت مجموعة من اللقاءات الإخبارية تطورت خلالها بشكل ملموس العلاقات بين أطر المؤتمر اليهودي وثلة من الوطنيين المغاربة. وتمكن هؤلاء من اكتساب "معرفة بالبنيات التنظيمية للهيئات اليهودية العالمية"، وأصبحوا "عارفين بالشخصيات اليهودية الأكثر تأثيراً في العالم."⁵² وسعى الزعماء المغاربة إلى طمأنة ممثلي المؤتمر حول مواضيع كثيرة، ومنها حاضر الجماعات اليهودية ومستقبلها، وضمان الحريات الفردية والعامّة، والحق في المشاركة السياسية والنيابة، والعلاقات مع جامعة الدول العربية والموقف من الصراع العربي الإسرائيلي. وشددوا أيضاً على ضرورة انضمام بعض الفعاليات اليهودية قريباً إلى صفوف الحركة الوطنية لتعزيزها بشحنة إضافية، ودعم مواقفها أمام الإدارة الفرنسية، ناهيك على أن المشاركة في "الكفاح" قد تؤمن المشاركة في آليات التسيير بعد الاستقلال.⁵³

وشكل موضوع هجرة اليهود إلى إسرائيل إحدى القضايا التي حرص المؤتمر اليهودي العالمي على التأكد من نوايا الزعماء المغاربة تجاهها، وتحصيل ما يكفي

49. CZA/S6/2425, from G.M. Reigner to Mr. L. Perlzweig and A. L. Easterman: Relations..., 2-3.

50. CZA/S6/2520, From A.L. Easterman to Dr. N. Eytan (Director General/Ministry of Foreign Affairs), Jerusalem, 29 November 1955.

51. CZA/S6/2425, from G.M. Reigner to Mr. L. Perlzweig and A. L. Easterman: Relations..., 2-3.

52. MAE/Maroc 1953-59, 19 (Relations extérieures du Maroc), L'ambassadeur de France aux Etats-Unis au Ministre des affaires étrangères (Antoine Pinay): Contacts entre le CJM et les nationalistes marocains, 22 septembre 1955.

53. MAE/Maroc 1950-55, 22 b (Questions juives et sionisme), Le Ministre des Affaires étrangères au Ministre des Affaires marocaines et tunisiennes: Visite de M. Perlzweig, 17 juin 1955.

من الضمانات في شأنها.⁵⁴ لقد اتخذت أطره من هذه القضية بالذات مسألة رئيسية طرحوها بإلحاح في كل اللقاءات،⁵⁵ وما يستوجب التأكيد عليه هو أن موقف المؤتمر اليهودي من هجرة اليهود المغاربة يظل متميزاً عما تبنته المنظمات اليهودية العالمية الأخرى، لأنه عارض فكرة التهجير الجماعي واعتبر أنه من مصلحة الفئات الدنيا "الالتحاق" بفلسطين، أما عن العناصر المسورة والمثقفة فمن واجبها البقاء في المغرب دون التفريط في أحقية المساهمة في نصرته القضايا اليهودية.

واهتم الطرفان بمعالجة مواضيع مختلفة أخرى ذات صلة بحاضر الجماعات اليهودية في المغرب ومستقبلها، ومن أهمها الموقف من جامعة الدول العربية والعلاقات مع مصر الناصرية. والظاهر أن الوطنيين أدركوا مدى قلق محاورهم فيما يخص طبيعة الصلات وحجم التنسيق مع دول المشرق العربي، فأكدوا لمحاورهم أن موقفهم من المؤسسة العربية قريب جداً من موقف زملائهم التونسيين، أي أنهم يعتبرونها هيئة شرقية تعمل على توحيد جهود الدول العربية وتقليص التنافس بينها. وأفصحوا عن عزمهم على الانتظار لبعض الوقت قبل اتخاذ قرار نهائي في موضوع الالتحاق بها، وشددوا على أنه في حالة الاقتناع بضرورة الانخراط في مؤسساتها المختلفة وجدواها، فإنهم سيحرصون دون شك على أن تتم العملية وفق شروط خاصة تراعي الخصوصيات المغربية، ووضع صياغة واضحة تجعل الدولة المغربية لا تلتزم إلا بالقرارات غير المتنافية مع المبادئ والمصالح الوطنية العليا. وأكد عبد الرحيم بوعبيد وعمر بن عبد الجليل وعبد القادر بنجلون وآخرون على أن "الفلسفة السياسية لجامعة الدول العربية هي فلسفة محافظة تراعي التقاليد الإسلامية، وأنهم يؤمنون بقدرات المغرب في الدفع بها إلى التغيير لتصبح مؤسسة عصرية."⁵⁶

وفيما يخص العلاقات مع مصر الناصرية، أقر الوطنيون المغاربة بحصولهم على الدعم المادي والمعنوي من القاهرة، واستفادتهم منه للدفع بالقضية المغربية إلى الأمام، وكسب عطف وتأييد شعوب كثيرة. غير أنهم أشاروا إلى طموح المغرب

54. CZA/S6//2421, From Perlzweig to N. Goldman: Crisis in Morocco, September 30, 1955.

55. CZA/S6/942, Goldman to M. Jarblum (Tel Aviv), 18 October, 1955.

56. CZA/S6/7260, Conférence consultative des organisations juives sur les questions nord-africaines, 6 et 7 novembre 1955, Paris, 6.

المستقل في القيام بوظيفة سامية داخل المنظومة العربية، وهي توفير الشروط اللازمة لقيام حوار وتعاون بناء بين شعوب ضفاف البحر الأبيض المتوسط حتى يتحقق الانفراج في العلاقات بين الدول المجاورة، وهي طبعا خطوة مهمة على درب الحد من آثار الحرب الباردة.

والحقيقة، أنه في إثر المحادثات الجماعية والانفرادية التي جمعتهم بوطنيين مغاربة، تحصل في خلد أطر المؤتمر اليقين بأن محاورهم على بينة من جسامه مسؤولية الدولة والشعب المغربي تجاه المواطنين اليهود. ومن جانبهم، نجح الوطنيون أيضا في إقناعهم بأن المغاربة اليهود سيحظون باهتمام السلطات المغربية متى بدأت هذه الأخيرة في مباشرة مهامها.⁵⁷ وعلى هذا الأساس، كتب گولدمان إلى سفير إسرائيل بفرنسا (جاكوب تسور، Jacob Tsur) رسالة يطمئن فيها السلطات الإسرائيلية، وأكد فيها على أن الوطنيين المغاربة "يقومون بعمل ممتاز ويساهمون في منع حصول مذابح تستهدف اليهود، خاصة خلال شهر غشت 1955. وطبعا، فالمؤتمر اليهودي العالمي قايض سند الوطنيين المغاربة وأدى ثمنا غاليا، خاصة وأن المغاربة طالبوا بعض الأحيان بأموار تفوق طاقتنا، ولكن الحصيلة كما ترون إيجابية، فنحن نجحنا في ربط الاتصال وتمكنا من إقناع الزعماء المغاربة بإرسال تعليمات مكتوبة عبر التراب المغربي تطالب بتحريم العنف ضد اليهود، وهي مسألة كما لا يخفى عليكم ذات أهمية قصوى ولا تقدر بثمن."⁵⁸

ودأب المؤتمر على إبلاغ الحكومة الإسرائيلية كافة المعلومات الموجودة في حوزته، كما حرص على تقدير وجهة نظرها في قضايا حساسة مثل الضمانات الخاصة باستمرارية الهجرة ومواقف الوطنيين من الصراع العربي الإسرائيلي والموقف من استمرار التوتر في الشرق الأوسط،⁵⁹ والعمل أحيانا بناء على تعليماتها.⁶⁰ وتابع وزير الخارجية (موشي شاريت) التطورات شخصيا، فأعطى تعليمات عامة في مواضيع

57. MAE/Maroc 1950-55, 22 b: Questions juives et sionisme, Direction générales des affaires marocaines et tunisiennes: Assurances données par Sidi Mohammed ben Youssef au Congrès Mondial Juif, 18 novembre 1955.

58. CZA/S6/920, from Goldman to Jacob Tsur, 18 octobre 1955.

59. CZA/S6/2520, A.L. Easterman to Dr. N. Eytan (Director-General/Ministry for Foreign Affairs, Jerusalem, 29 November, 1956.

60. CZA/S6/2425, from G.M. Reigner to Mr. L. Perlzweig and A. L. Easterman: Relations...

شتى كوتيرة الهجرة والموقف من العلاقات المغربية-الفرنسية وقضايا أخرى.⁶¹ واعتبر الإسرائيليون ضمانات المؤتمر اليهودي العالمي كافية مادام الوطنيون المغاربة على بينة من صعوبة الحصول على الدعم الدولي—حالا واستقبالا—دون ضمان حقوق اليهود المغاربة وصيانة مصالحهم.

ومهما يكن من أمر فإن الوطنيين المغاربة قد تنبهوا إلى أن الاتصالات بأطر المؤتمر اليهودي في أوروبا—على الرغم من إيجابياتها—، تبقى دون الآمال المعقودة ما لم يربطوا اتصالات مباشرة مع أطر المنظمة نفسها في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كلف حزب الاستقلال ممثليه بالعاصمة الفيدرالية وفي نيويورك بالعمل على توضيح المواقف الوطنية في الأمور ذات العلاقة بحاضر الجماعات اليهودية المغربية ومستقبلها.

8. حزب الاستقلال والرأي العام الأمريكي

اجتهدت الأطر الوطنية العاملة فوق التراب الأمريكي للتمكن من ربط الاتصالات مع جهات مؤثرة يرجى من دعمها لبعض المطالب تحقيق مكاسب سياسية ربما تنفيذ القضية المغربية.⁶² وكان المجلس الأمريكي لإفريقيا (American Committee of Africa) من أوائل التنظيمات التي ربط مندوبو حزب الاستقلال الاتصال بها، وأقنعوا أطره بعدالة "نضال الشعب المغربي من أجل استقلاله." ومن جهته، عمل ممثل المجلس الإفريقي (روبرت براون Robert Brown) على تهيئة الأجواء لعقد لقاء بين ممثلين عن حزب الاستقلال ونظراء لهم عن هيئات يهودية مؤثرة. وبعث عبد الرحمن أنكاي⁶³ رسالة توضيحية لممثل المؤتمر اليهودي في واشنطن (بيرلزويغ، Perlzweig)، بسط فيها المبادئ العامة التي تؤسس لموقف حزب الاستقلال فيما يخص القضايا التي تهم اليهود المغاربة:

"— لا يغذي حزب الاستقلال أية دعاية معادية للسامية، ويوجد بين صفوفه عديد من الشخصيات اليهودية.

61. MAE/Maroc 1953-59, 19 (Relations extérieures du Maroc), P. E. Gilbert (Ambassadeur de France en Israël) au Ministre des Affaires étrangères: Questions marocaines aux Nations-Unis, 2 janvier 1955.

62. المهدي بنونة، المغرب... السنوات الحرجة (جدة: منشورات الشرق الأوسط، 1989)، 214-216.

63. كان عبد الرحمن أنكاي، المنحدر من المنطقة الشالية، إلى جانب المهدي بنعبود، من أنشط مندوبي حزب الاستقلال في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ التحق سنة 1952 بمكتب المغرب في نيويورك. وتسهيلا لتحركاته ومساعدته على العمل داخل هيئة الأمم المتحدة، ألحقته بعثة العربية السعودية بصفوفها كاتبا في الشؤون الشرقية.

- "عداء" حزب الاستقلال لليهود هو مجرد اتهام من تلفيق الفرنسيين.

- سيكون المغرب المستقل أرض حماية لليهود المغاربة كما كان دوما في الماضي.

- الترويج لإشاعة تجميع الوطنيين لتبرعات لصالح "ضحايا" العدوان الإسرائيلي يدخل في إطار حملة دعائية مغرضة.

- إن كثيرا من اليهود ممن هاجروا إلى إسرائيل فضلوا العودة والاستقرار بالمغرب.⁶⁴

جرى أول لقاء بين أنكاي وبيزلزفيغ بواشنطن، وبدا واضحا منذ البداية أن أطر المؤتمر اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية لا تتفق بالكامل مع الخط الذي يتبعه رفاقهم في أوروبا، وأنهم لا ينوون الاكتفاء بمحادثات ثنائية يعبر فيها كل طرف عن نواياه. وفي حديثه مع ممثل حزب الاستقلال بنيويورك، نبه مندوب المؤتمر إلى خصوصيات الرأي العام الأمريكي الذي يستلزم إقناعه بقضية معينة، توفير كثير من "النصوص الرسمية" التي تتعهد بموجبها جهة معينة باحترام التزاماتها. وبناء عليه، فقد أشار إلى وجوب إصدار الأطراف المغربية لبيانات رسمية من أعلى مستوى تشرح فيها مواقفها وتضبط خياراتها السياسية.

وفي 12 غشت 1955، نشر مكتب حزب الاستقلال للإعلام والتوثيق بنيويورك بيانا يحمل توقيع الكاتب العام للحزب أحمد بلافريج بعنوان "يهود المغرب"، مصحوبا بتقرير مفصل في الموضوع بعنوان "الظروف العامة لوضع اليهود المغاربة"،⁶⁵ بعث نسخا منه إلى أكبر الجمعيات والمنظمات والهيئات اليهودية الأمريكية.⁶⁶

64. MEA/Maroc 1950-55, 22 b (Questions juives et sionisme), Présidence du Conseil, Les organisations israélites américaines et l'Istiqlal, 20 juin 1955.

65. Istiqlal Party of Morocco, Moroccan Office of Information and Documentation: Jewish Moroccans, August 12, 1955.

66. MAE/Maroc 1950-55, 22 b (Questions juives et sionisme), L'Istiqlal et les Israélites marocains, 12 septembre 1955.

وفي الورقة الأولى، أشار الحزب إلى أن اتهامات "الدوائر الاستعمارية الفرنسية" تندرج في إطار حملة مغلوبة غايتها "اتهام المسلمين المغاربة بالعداء لليهود"، في حين أن كل الحقائق تفيد بأن المغاربة المسلمين واليهود على السواء هم ضحايا للسياسة الاستعمارية منذ سنة 1912. وبعد التصريح بعدم وجود أي "مشكل يهودي" في المغرب أصلاً، بدعوى عراقية وامتانة الأواصر التي تجمع بين يهود المغرب ومسلميه، شدد البيان على أن الجماعتين تعيشان "جنباً إلى جنب"، وتوجدان في نفس الخطوط لمقاومة الاستعمار والنضال من أجل الحصول على الاستقلال، وهما قضيتان تتطلبان دعم القوى العالمية الحية وسندها. ووقع التأكيد في الختام على أن المغرب المستقل لن يسمح بوجود مجال "للميز"، وأن اليهود المغاربة سيتمتعون بحقوق فعلية تجعل منهم مواطنين كاملي الحقوق وعليهم نفس الواجبات، وأن الدولة تعترف لهم بجميع الحريات الدينية والمدنية:

"إن أكبر خدمة يمكن تقديمها لليهود المغرب هي مساعدتهم على إنهاء النظام الاستعماري الذي استغلهم وأخضعهم. إن المغرب هو بلدهم، وحريرتهم من حريته، ومن يساعد اليهود المغاربة يساعد على استقلال المغرب."⁶⁷

وعرضت الورقة المرفقة بالبيان كثيراً من الحقائق التاريخية التي تؤكد أنه على عكس ما كانت عليه الأوضاع في أوروبا الكاثوليكية، فقد اتسمت علاقات اليهود والمسلمين دوماً بالانسجام والتكامل؛ وأنه فيما يتعلق بتسيير الشؤون الطائفية، يتمتع اليهود باستقلالية تامة. ثم أفرد التحليل فقرة مهمة لحلقة نظام فيشي في المغرب، والدور الحاسم الذي اضطلع به السلطان محمد بن يوسف، وأوضح أن الدعاية الاستعمارية القائمة على مبدأ "فرق تسد" اجتهدت منذ قرن من الزمان في اختلاق "أسطورة" عداء المسلمين لليهود، وأنها لم تنجح في "حربها" تماماً كما فشلت في سياستها الهادفة إلى التفرقة بين العرب والأمازيغ. وبينت الوثيقة أن الميز بين فئات المجتمع المغربي ظاهرة حديثة ابتدعتها الاستعمار منذ بداية عهده، حين جعل الفرنسيين في صف والمغاربة يهوداً ومسلمين في صف آخر؛ للأوائل الحق في كل شيء، في حين حرم أهل البلاد من الحقوق المدنية، فهم لا يتوفرون

67. Istiqlal Party of Morocco, ibid.

على ممثلين في الهيئات. وأشارت الورقة إلى أن معاداة اليهود صفة متأصلة في الدوائر الاستعمارية في المغرب التي هاجمت شخصيات فرنسية قدمت اقتراحات جدية للخروج من الأزمة، أمثال بيير مانديس فرانس (Pierre Mendès-France) وجرانفال (Grandval)، ونعتتها بالتآمر على المصالح الفرنسية أساساً لأنها يهودية. وأكدت الوثيقة في الأخير أن يهود المغرب ومسلميه يشاطرون نفس الاهتمامات (عودة السلطان والحصول على الاستقلال)، وهي اهتمامات عبرت عنها كثير من الفعاليات اليهودية.⁶⁸

وفي إثر نشر البيان صدرت تصريحات متنوعة أكدت أنه لا يوجد إطلاقاً أي سبب يجعل اليهود عرضة للتمييز، وأن الأمر سيظل على حاله في ظل المغرب المستقل.⁶⁹ واهتمت قنوات التأثير التابعة للمؤتمر اليهودي بنشرها وتوفير الدعاية لمضامينها،⁷⁰ كما نظمت لقاءات بين ممثلين عن حزب الاستقلال وشخصيات أمريكية سامية تنتمي للمؤتمر اليهودي-بعضها وقع في نيويورك والآخر في جنيف-ساهمت جميعها في تبديد مخاوف الأطر الأمريكية.⁷¹ وعملت هذه الأخيرة على ربط الاتصال بالسلطات الفرنسية عبر سفارة الجمهورية في واشنطن لتؤكد لها ثقتها في الوطنيين المغاربة، وأنها على يقين من أن استقلال المغرب وتدير الوطنيين والأطر المغربية لشؤونهن لن يكون كارثياً لليهود المغاربة.⁷² والظاهر أن المؤتمر قد اعتبر حصول اتفاق سياسي والتوصل إلى حل سلمي في أقرب الآجال، تطوراً من شأنه التخفيف من حدة التوتر في المغرب ومنع وقوع تجاوزات شعبية تستهدف يهود المدن والبوادي.⁷³

وحتى يتسنى التحقق من التزامات الوطنيين المغاربة وتعميمها بغية تمكين الرأي العام اليهودي من التيقن منها بدرجة أقوى، نشرت صحيفة الجويش

68. Istiqlal Party of Morocco, Moroccan Office of information, Background on the Situation of Jewish Moroccans.

69. *Information Juive*, n. 69-70, août-septembre (1955): 5.

70. Z6/2207, A.L. Easterman, Conference of Jewish Organizations: Summary Report of the Jewish Situation in North Africa (Morocco and Tunisia), London, May 1958.

71. MAE/Maroc 1950-55, 22 b (Questions juives et sionisme), Le Ministre des Affaires étrangères au Ministre des Affaires marocaines et tunisiennes: Afrique du Nord-Visite de M. Perlzweig, 17 juin 1955.

72. MAE/Maroc 1953-1959, 15, L'Ambassadeur de France à Tel-Aviv au ministre des Affaires marocaines et tunisiennes: Situation des Israélites au Maroc-Contacts entre le Congrès Juif Mondial et les nationalistes marocains, 4 octobre 1955.

73. MAE/Maroc 1953-1959, 15, Charles Lacet (Ministre plénipotentiaire chargé d'Affaires aux Etats-Unis) à Antoine Pinay (Ministre des Affaires étrangères): Déclaration de M. Perlzweig sur le Maroc, 26 octobre 1955.

كرونیکل (*The Jewish Chronicle*) النص الكامل لحوارین صحافیین أجرهما مبعوثها کار (M. Carr) مع شخصیتین نافذتین هما عبد الرحیم بوعبید و عبد القادر بنجلون.

9. تصریحات بنجلون وبوعبید لأسبوعية "جويش كرونیکل"

يعتبر الحديثان الصحفیان اللذان أدلى بهما على انفراد كل من عبد القادر بنجلون عن حزب الشورى والاستقلال، و عبد الرحيم بوعبيد عن حزب الاستقلال للأسبوعية اليهودية اللندنية، وثيقتين مهمتين تفصيحان عن كثير من العناصر المكونة لتصور زعيمين من أبرز رجال الحركة الوطنية للمستقبل السياسي للمغرب المستقل.⁷⁴ إن الرجلين، فضلا عن كونهما رجلي قانون يزنان الألفاظ التي يستعملانها في تصریحاتهما، ويمثلان أيضا أبرز تيارين سياسيين في مغرب الخمسينات من القرن الماضي، ولذلك فإن آراؤهما تفصح عن مواقف الحزبين اللذين ينتميان إليهما.

وقبل الخوض في عرض وتحليل تصریحات الرجلين والتعليق عليها فيما يخص وضع اليهود في المغرب المستقبل، والموقف من الهجرة نحو إسرائيل والصراع العربي الإسرائيلي، لا بد من الإشارة إلى أن الصحفي الذي وضع الأسئلة قد استعمل ما يكفي من المهارات المهنية للدفع بالرجلين إلى الرد بصيغ واضحة تتوافق ومصالح الجهات التي تحرك مجلة من حجم وقوة تأثير الجويش كرونیکل. وجاءت الردود في شكل التزامات عكست درجات من الاندفاع السياسي وأبانت عن وجود ثقة كبيرة في المستقبل.

جعل كل من بوعبيد وبنجلون من اعتماد النظام الملكي الدستوري مفتاحا للوضع العام للدولة المغربية المستقلة. ويمثل هذا الخيار في نظرهما فاتحة عهد جديد يقطع كل الصلات مع التيقراطية التي طبعت النظم السياسية في المغرب. وتظل الديموقراطية وحدها كفيلة بتحقيق النقلة الكفيلة بالرفع من شأن المواطنين، وضمان إقامة المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المغاربة بغض النظر عن أصولهم ومعتقداتهم. وشدد بنجلون على الخيار العلماني، وجعل منه مسألة أساسية

74. "L'avenir du judaïsme marocain, interview accordée par M Benjelloun, interview accordée par M Bouabid," *La Voix des Communautés* 56, 1955, 1 et 7-8.

ومستعجلة، وشرطا لمشاركة حزبه في أية تشكيلة حكومية تأخذ على عاتقها تدبير شؤون المغرب المستقل وتسيير دفة الحكم فيه.

”كما صرحنا بذلك لممثل المؤتمر اليهودي العالمي، إن حزب الشورى والاستقلال يناضل من أجل اعتماد نظام الملكية الدستورية في المغرب، وهو نظام ديموقراطي وعصري. إن حزبنا يصبو إلى قيام نظام أساسه الفصل الكامل بين السلط ويسوس فيه رئيس الدولة ولا يحكم، وتسييره حكومة مسؤولة أمام مجلس منتخب يمثل ما أمكن طموحات الشعب المغربي. ويجب أن يعترف الدستور المغربي بالمساواة الكاملة بين جميع المواطنين المغاربة دون ميز عرقي أو عقائدي. لهذا يقترح حزب الشورى والاستقلال خيار النظام اللابيكوي الضامن للحقوق والواجبات لجميع المواطنين من دون ميز [...] إن حزب الشورى والاستقلال يشدد على هذه الأمور، ويعتبرها شرطا أساسيا لمشاركته في حكومة المفاوضات...“

وأكد عبد الرحيم بوعبيد من جانبه أن حزب الاستقلال يجتهد من أجل وضع منظومة متكاملة من القوانين التنظيمية تؤهل المغاربة مسلمين ويهودا، لتدبير الشأن العام والحفاظ على المكتسبات الوطنية. وأشار إلى أن المهام جسيمة، وهو ما يتطلب من المواطنين اليهود العمل إلى جانب المسلمين لتحقيق الغايات النبيلة المنشودة. وفيما يخص الدستور ”وهو أسمى الغايات،“ فإن النواب اليهود مدعوون للمشاركة في تقديم المقترحات وصياغة الفصول والمصادقة على النص النهائي. وشدد بوعبيد على أنه لا يكفي سن القوانين المقررة للمساواة وضمان مصالح الجميع، وإنما يستوجب على من توطرهم تلك القوانين العمل على تفعيلها وإعطائها القوة التنفيذية التي تجعل منها أدوات للمشاركة الوطنية. ونبه إلى أن البلد تعول كثيرا على الأطر اليهودية لضمان السير العادي للإدارة المغربية، بالنظر لما اكتسبه داخل إدارة الحماية من المعرفة والخبرة والكفاءة. وأعرب المتحدث في ختام تفصيله لهذه النقطة بالذات عن إيمانه بأن مغرب المستقبل يجب أن يكون ثمرة جهود مشتركة بين المسلمين واليهود. وعلى عكس زميله الشوري، أكد ممثل حزب

الاستقلال أن التاريخ والحاضر المغربيين وإكراهات الانتقال من وضع المستعمر إلى وضع المستقل، تجعل من الصعب التفكير، منذ ذلك الحين، في جعل المغرب بلدا علمانيا وسن قوانين لا تراعي الضوابط الشرعية والأحوال الشخصية سواء تعلق الأمر بالمسلمين أو اليهود.

وفي جوابها عن الموقف من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أكد الزعيمان انخراط المغرب المستقل بالكامل فيما يفرضه من التزامات، وأشارا إلى أنه في نية الحزبين اقتراح التنصيب على مضامينه في المواد الأولى للدستور المرتقب. ودعا بوعبيد النواب اليهود خاصة للسهر على تحقيق هذا الهدف بالذات.

وعن الموقف من حرية التنقل والحق في مغادرة التراب الوطني واختيار وطن آخر للإقامة، وهي أمور ينص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أكد المستجوبان بصريح العبارة على إقرار المغرب المستقل حق كل المواطنين في ممارسة هذه الحريات. واعتبر بنجلون أن هجرة اليهود المغاربة صوب إسرائيل تمثل خسارة كبيرة للمغرب، وهو ما يفسر نداءات حزبه المتكررة لحث المواطنين اليهود على البقاء والمساهمة في البناء وترسيخ الثقة والوثام بين مكونات المجتمع المغربي. وأعرّب بوعبيد من جانبه عن تأييده للمطالب "الطبيعية والمشروعة" التي تتقدم بها كثير من الهيئات والجمعيات اليهودية والداعية إلى تخصيص المتدربين اليهود بتعليم مناسب يراعي خصوصيات التربية اليهودية وتعليم اللغة العبرية. وأضاف أن الإجراء الأخير لا يعفي التلاميذ اليهود من تعلم العربية، لأنها اللغة الرسمية للبلاد ووسيلة ضرورية للتعامل الإداري والسياسي من قبل جميع المغاربة.

وفي جوابه عن سؤال في موضوع إمكانية احتفاظ اليهود ممن هاجروا إلى إسرائيل واستقروا بها بروابط وجسور مع ذويهم ممن اختاروا البقاء في المغرب، رد بوعبيد بأنه "شخصيا" لا يرى أي مانع من الإبقاء على الروابط "العائلية والروحية" بين الجانبين. وأضاف "إن ما نتمناه هو أن يستتب الأمن ويستقر السلام في منطقة الشرق الأوسط، وتعود العلاقات بين المسلمين والنصارى واليهود إلى سابق عهدها." وعن سؤال أخير حول الضغوط التي يمكن أن تمارسها الدول العربية المشرقية على المغرب خاصة ما يتعلق منها بالمعاملات بين يهود المغرب

ويهود إسرائيل، ذكر بوعبيد محاوره بأن الدول العربية وحدها التي تغدق وقتئذ على المغرب بالسند والعون، وهو أمر "يجدر بنا أن لا ننساه." ثم شدد على أمر اعتبره جوهريا ومبدئيا، وهو أن المغرب بلد عربي وإسلامي تربطه ببلدان المشرق العربي أواصر تاريخية ولغوية وروحية مهمة، وهذه المعطيات تساعد على تحقيق التعاون والصداقة، ولن تمنع المغرب من الحفاظ على عناصر السيادة السياسية التي طالما كافح من أجل تحقيقها.

ومهما يكن من أمر فإن الحديثين الصحفيين قد حققا وقعا كبيرا في الأوساط اليهودية الأوروبية والأمريكية، فأفردت كبريات الصحف والمجلات اليهودية حيزا مهما للتعليق على ما ورد فيهما، وقامت بعضها بنشر مقتطفات مختارة. وما يثير الانتباه هو رفض مجلس الجماعات المغربية في أول الأمر نشر النصين حيث لم يقدم على ذلك في صحيفته الشهرية إلا بعد مرور مدة زمنية غير يسيرة.⁷⁵

10. المؤتمر ووطنيو الداخل

دشن ممثلو المؤتمر المغاربة مرحلة جديدة في الحوار الوطني مع زعماء وأطر حزبية مغربية في الداخل ابتداء من شهر ماي 1955. وانطلاقا من فلسفتها الرامية إلى خلق توافق وتفاهم بين مسلمي المغرب ويهوده والمسيحيين المستقرين في أرضه، بادرت جماعة "الصداقات المغربية" (أسسها فيليكس ناتاف (Félix Nataf) سنة 1950، وكان رئيسها هو أحمد الزموري القاضي بالدار البيضاء)،⁷⁶ إلى عقد اجتماع بمنزل نائب رئيسها (محمد داداي) جمع بين ثلثة من الشباب اليهودي وفي مقدمتهم ماير طوليدانو، وثلثة أخرى من المثقفين المغاربة الوطنيين يرأسهم المهدي بنبركة، فكان فاتحة لسلسلة من لقاءات للتعارف والتعريف بمشاكل الجماعات اليهودية بالمغرب. وقد أبدى الطرف المسلم تفهما كبيرا لانتظارات اليهود، وقدم وعودا واقترح أفكارا بغرض تبديد مخاوف الطرف الآخر.⁷⁷

75. CZA/S6/2522, From A. L. Easterman to Dr. N. Eytan (Director General, Ministry for Foreign Affairs, Jerusalem), 29 November 1955.

76. "Tribune Libre: Les Amitiés marocaines," *Noar* 22 (1950): 4; "Une association qui veut militer pour la concorde et le bien-être au Maroc: Les Amitiés Marocaines," *ibid.*, n. 34, 19 avril (1951): 1; Félix Nataf, *L'indépendance du Maroc: Témoignage d'action 1950-1956* (Paris: Plon, 1975); Félix Nataf, *Juif maghrébin* (Paris: Fayolle, 1978).

77. F. Nataf, *L'indépendance*, 33.

وتحققت في إثر هذه المحادثات جملة من نقاط التوافق والتفاهم في مواضيع مختلفة. وعكس هذه النقلة بيان مطول بعنوان "بعض مظاهر المسألة اليهودية"، صدر ضمن سلسلة "الفكرة المغربية"، وهي سلسلة شبه سرية دأبت على إرسال منشوراتها إلى الدوائر المؤثرة. لقد أشار هذا المنشور في ديباجته إلى أن كاتبه إطار يهودي يحظى بمصداقية كبيرة عند يهود المغرب، وأكد بأنه يهدف إلى فك الحيرة المستبدة بكثير من المثقفين المسلمين في شأن موقف اليهود المغاربة من القضية الوطنية، وإقناعهم بالالتحاق بركب الحركة الوطنية والدخول في "محاورات جدية لتحقيق الوحدة لبناء مغرب مستقل وسعيد"، وفي العمليتين نفع للأمة المغربية جمعا.⁷⁸

وفي معرض تقديمه "لبعض مظاهر المسألة اليهودية في المغرب"، أشار كاتب المنشور بداية إلى أنه من الطبيعي أن تطرح كثير من التساؤلات في موضوع ما يكتفه اليهود لقضاياهم الوطنية، أساسا لأن غالبيتهم لا يبنون عن رأي صريح وموقف حاسم. وأكد أن اليهود المغاربة متعلقون ببلادهم "بدرجات متفاوتة"، وهذا ما يشكل أهم ميزاتهم، وهي على كل حال ميزة متأصلة على الرغم من الإغراءات الكثيرة منذ عهد الحماية الأوروبية، وبصفة خاصة خلال مرحلة الحماية الفرنسية التي أولتهم عناية خاصة بتمكينهم من تعليم عصري. وقد لعب التعليم حسب الكاتب، دورا كبيرا في الرفع من المستوى العام لليهود، ولكنه في المقابل أدى إلى "الرفع من مستوى جهل اليهود بثقافة بلادهم وتاريخ المغرب، وأدى الكل في النهاية إلى قطع أهم الصلات الحيوية القادرة على تحصيل ميثاق بينهم وبين أرضهم." وأشار الكاتب إلى أنه على الرغم من اتساع الهوة بين اليهود والمسلمين وزرع بذور التفرقة داخل الحركة الوطنية المغربية، فإنها لم تتمكن من طمس المقومات الدفينة للشخصية المغربية المتأصلة عند اليهود. وتعرض في تحليله إلى نقطة تفسر إلى حد كبير تردد غالبية اليهود، وهي مسألة المخاوف من الاستقلال، فيبين بأنها مخاوف مصطنعة روجت لها قنوات التشويش الاستعماري. وانطلاقا من ذلك، فصل في مسألة الامتيازات التي نعم بها اليهود في ظل الحماية، واعتبر أن الكثير منها تمثل ضمانات أمنية ومادية، فرأى كيف "أن هذا الادعاء يقوم على

78. AIU/ Maroc 242, au Président de l'AIU: Tracts adressés à nos directeurs, 29 juin 1955.

أساس غير معقول، إذ كيف يمكننا أن نعتبر نظام الحماية-وهو نظام عنصري في جوهره-درعا ضد العنصرية والمعاداة للسامية. وحتى إذا افترضنا بأن الحماية قدمت كثيرا من الخدمات لليهود ومكتتهم من رفع مستواهم في عدة ميادين، مثل التعليم والتنظيمات الخيرية والثقافية، فهي قد قامت بذلك بغرض تهميشهم وإقصائهم عن باقي البلاد وتوجيههم ضدها. ويستوجب علينا حين تقييم تلك العناية، أن نشير إلى أنها تحتجب حين يعبر اليهود عن رغبتهم في المشاركة في الحياة السياسية للبلاد، وهذا يعني أن اليهود المغاربة مطالبون بمقايضة امتيازات بخسة وغير قارة، مقابل خضوع تام للسياسة الاستعمارية. "وأشار إلى أن ما يدحض أطروحة المخاوف، هو جهل المجتمع المغربي منذ القدم للعنصرية والمعاداة لليهود، وأن المعاناة خلال بعض الفترات كانت عامة لأن جميع الفئات المكونة للمجتمع المغربي عانت بنفس الدرجة أو أكثر،" "وعلى كل حال فمهما كانت درجة المعاناة، فهي أقل بكثير مما لحق بيهود البلدان الأوروبية." وخلص الكاتب إلى أن اليهود المغاربة يشكلون جزءا لا يتجزأ من الأمة المغربية، ومن الواجب العمل على تبيد سوء التفاهم في علاقاتهم بإخوانهم المسلمين، وإحلال أواصر التعاون والتفاهم، وأن مستقبلهم سيكون وفقاً لشكل الذي يريدونه أن يكون عبر مشاركتهم ونضالهم، وأن الحل الوحيد للمسألة اليهودية مرتبط بحل القضية المغربية.

وعلى إثر إعلان الحكومة الفرنسية عن نيتها الرامية إلى فتح مجال للتداول والنقاش مع الشخصيات الوطنية المغربية بغية التوصل إلى حل للقضية المغربية (ماي 1955)، سارع المؤتمر اليهودي العالمي إلى اتخاذ مجموعة من المبادرات بغرض تدعيم الاتصالات مع الزعماء الوطنيين الأكثر تأثيراً، و"ترتيب البيت الداخلي" عبر الاتفاق بخصوص أرضية عمل مشتركة بين جميع التنظيمات والهيئات اليهودية المغربية بما فيها مجلس الجماعات اليهودية. وفي هذا الإطار، قام وفد من المؤتمر بزيارة عمل إلى المغرب، وعقد في وقت أول سلسلة من المشاورات مع ممثليه المغاربة حددوا خلالها مجموعة من المبادئ والتوجهات العامة، ثم نظم لقاءات مع أقطاب مجلس الجماعات أفضت إلى حصول اتفاق مبدئي، وفي وقت أخير التقى مع ثلة من الوطنيين المغاربة.⁷⁹ وخلص المؤتمر إلى ضرورة صياغة وثيقة تستلهم موادها الأساسية من الاتفاق

79. CZA/Z6/940, Rapport de la visite effectuée par la délégation du CJM au Maroc, 2 novembre 1955.

الفرنسي-التونسي، تكون بمثابة "برنامج سياسي" مؤطر لكافة المطالب الراهنة والمستقبلية.⁸⁰ وتحقيقاً لهذا الغرض، اجتمعت في فاتح يونيو 1955 لجنة مشتركة من ممثلين عن المؤتمر ومجلس الجماعات والرابطة وجمعية قدماء تلامذة الرابطة أطلقت على نفسها (Commission d'études et de coordination marocaine) اللجنة المغربية للتنسيق والدراسات، تدارست كثيراً من القضايا، وطرحت مجموعة من الأفكار قررت التداول في موضوعها في وقت لاحق بعد أن تدرسها بتأمل جميع الهيئات المشاركة:

خلال هذا الاجتماع تم طرح وجهتي نظر مختلفتين، فتقدم بالأولى مايير طوليدانو وحظيت بدعم ليون بنزاكين، اعتبرت المؤتمر اليهودي العالمي -وبقدر أقل الرابطة- مؤهلين للحدوث باسم الجماعات اليهودية، وهو ما يتطلب توارى الهيئات الأخرى بسبب النظرة السلبية التي تكونت لدى الوطنيين إزاءها. أما وجهة النظر الثانية فقدمها دهان ودعمها أفراد مجلس الجماعات، فارتأت أنه من الأليق تكوين جميع الهيئات لجهة موحدة تنزل بثقلها خلال المفاوضات القادمة. وبعد نقاش عنيف وأخذ ورد، توصل المجتمعون إلى صيغة وسط في شكل مذكرة أو مشروع عمل (mémorandum) وقع التعبير في ديباجته على الأمل في أن تفضي المفاوضات الفرنسية المغربية إلى اتفاق يضمن "الأمن والرخاء لجميع سكان المغرب ويوحد بين الأمتين الفرنسية والمغربية في إطار صداقة متبادلة لما فيه خير الطرفين." وأشار النص كذلك إلى الانسجام التاريخي الحاصل بين مكونات الأمة المغربية، والضمانات التي قدمت لليهود المغاربة وثقتهم في سداد الزعماء الوطنيين. وانطلاقاً من جميع هذه الاعتبارات، رأت اللجنة ضرورة اعتبار مجموعة من الالتزامات التي تؤكد على أن الدولة المغربية تعترف لجميع الساكنين فوق ترابها بالتمتع بجميع القوانين والضمانات الشخصية والجماعية المسطرة في الإعلان العالمي لحقوق

80. Bulletin Marocain d'Information et de Documentation, 5^e année, n. 101, 15 août 1955: 10-12.

الإنسان، ويراعى التنصيص عليها في الاتفاقيات الفرنسية المغربية. وحصرت الوثيقة هذه الحقوق في الأمور التالية:

”أولا: يتمتع جميع المواطنين المغاربة دون ميز في الأصل والجنس واللغة والدين بنفس الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية.

إن الاختلاف في الأصل والجنس واللغة والدين لا يمكن أن يكون سببا لإلحاق الضرر بأي مواطن مغربي فيما يتعلق بتمتعته بالحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية، بما فيها امتهان وظائف عمومية-إلا ما يخص الوظائف ذات الطابع الديني-، والحق في امتهان جميع المهن، والحق في التمتع بالدعم العمومي.

ثانيا: يكون لجميع المواطنين المغاربة الحق في المشاركة في جميع الاستحقاقات لانتخاب ممثلين في المجالس التمثيلية العمومية والممارسة بها.

ثالثا: سيكون لجميع المواطنين المغاربة الحق في حرية الاجتماع والجمعيات، والحق في خلق وتسيير ومراقبة مؤسسات ثقافية واجتماعية وفي الدعم الخصوصي.

رابعا: يكون لجميع المواطنين المغاربة نفس الحقوق لولوج الدراسة ومتابعتها في المؤسسات التعليمية العمومية، والحق في استمرارية اشتغال وتأسيس مؤسسات تعليمية خاصة شريطة أن تخضع وتستوفي الشروط البيداغوجية الضرورية.

خامسا: جميع المواطنين المغاربة لهم الحق في حرية الرأي والتعبير

سادسا: يكون لجميع المواطنين المغاربة الحق في حرية التفكير والاعتقاد والدين، وهذا الحق يعني الحرية في إظهار مظاهر الانتماء الديني والعقيدة الخاصة والمشاركة في المجالات العمومية والخصوصية عبر التعليم والممارسات وأماكن العبادة والقيام بالعبادات.

سابعا: تضمن حرية التنقل داخليا وخارجيا لجميع المواطنين المغاربة، وحرية تنقل الممتلكات مضمونة كذلك في إطار الاتفاقيات والمعاهدات الاقتصادية المرتقبة.

وعبرت اللجنة في خاتمة الوثيقة عن رغبتها في أن يوافق الوطنيون المغاربة على هذه المبادئ، ويعتبرونها "تأسيسية ودستورا للبلاد، وأن لا يتم مستقبلا سن قوانين تتعارض والحق في التمتع بهذه الحقوق." كما اقترحت أن يتم اللجوء في "حال الإخلال بهذه الالتزامات أو بأحدها" إلى الدولة الفرنسية. وشددت العبارة الأخيرة على أنه "من خلال هذه المقترحات، لا تسعى اللجنة إلى تخصيص اليهود بحقوق وامتيازات حصرية، وإنما إلى ضمان الحقوق لكافة المواطنين المغاربة عبر صيغة تعاقدية دولية تضمن حقوق الإنسان والحريات الأساسية."⁸¹

وعلى مستوى العلاقات بين المكتب الأوروبي للمؤتمر اليهودي العالمي ومجلس الجماعات اليهودية المغربية، انعقد لقاء بين الطرفين في نهاية شهر يونيو 1955.⁸² وقد سعى مدير المكتب الفرنسي للمؤتمر (كابلان) إلى إقناع جاك دهان بجدوى التنسيق بين الهيئتين، واقترح عليه تشكيل لجنة خاصة تكون مؤهلة للمشاركة في المفاوضات الفرنسية المغربية المرتقبة، وتوكل إليها مهمة صياغة مسودة نهائية تكون أساس المطالب اليهودية. وناشد كابلان محاوره بضرورة ربط اتصالات مباشرة مع الوطنيين والتعامل إيجابيا معهم، لأنهم سيمثلون في الفترة المقبلة أحد أهم مفاتيح الأزمة، وإليهم ستؤول المسؤوليات الكبرى في البلاد. وشدد على أنه لا يمكن وقتئذ المطالبة بالأمن الكامل، لأن الوطنيين لا يتحكمون في جميع عناصر المعادلة المغربية، وأن ما يستوجب العمل على تحصيله هو الضمانات المستقبلية المؤسسة لوضع الجماعات اليهودية داخل الدولة المغربية، وأنه حتى في حالة غياب أو نقصان الضمانات الرسمية اللازمة، فالواجب البحث عن صيغة واقعية وتوافقية شبيهة بما تمخضت عنه المحادثات التونسية الفرنسية.⁸³ ونبه كابلان مخاطبه إلى أنه بالنظر للمخاطر التي تتهدد الجماعات مع اقتراب تاريخ 20 غشت (ليس من جانب المسلمين لوحدهم، وإنما كذلك من جانب بعض المتعصبين الأوروبيين)، فإن الحكمة تقتضي الاستغاثة بالوطنيين حتى يجندوا طاقتهم وقنوات

81. AIU/Maroc 253, Projet de Mémorandum, 1 juin 1955.

82. "Consultative Conference Proposals," in *The Jewish Chronicle*, n. 4496, June 24 (1955): 14.

83. "Arab Attacks in Morocco: 15 Jews Injured by Mob," n. 4507, September 9 (1955): 1 et 44; CZA/Z6/935, Kaplan à Easterman, Paris, 28 juin 1955.

التأثير للحيلولة دون استهداف الغاضبين للملاحات والمصالح اليهودية. وعليه، ناشد المؤتمر حزب الاستقلال بإصدار بيان عام يشدد فيه على النقاط التالية:

”أ- إن اليهود المغاربة يعتبرون مواطنين قانونيا وفعليا، ولن يكونوا في ظل الدولة المغربية موضوعا لأي ميز أو شكل من أشكال المعاداة للسامية.

ب- ستقر الدولة المغربية المستقلة دستوريا باحترام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

ج- يعمل الوطنيون المغاربة على منع وقوع أعمال عنف تستهدف اليهود.”⁸⁴

وعارض دهان هذا الاقتراح على أساس أن الهيئة الوحيدة المؤهلة للدفاع عن المطالب اليهودية المغربية هي مجلس الجماعات، كما رفض بشدة الاقتراح القاضي بتعيين فليكس ناتاف مكلفا بربط الاتصال بين المجلس المركزي للمؤتمر العالمي ومجلس الجماعات لسبب رئيسي هو ”اعتناق ناتاف للكاثوليكية.“⁸⁵ وكان الطرف الوحيد المؤيد والمساند فعليا لموقف دهان هو السفارة الإسرائيلية بباريس التي نجحت في ربط علاقات مباشرة مع الكاتب العام لمجلس الجماعات عبر إطار دبلوماسي مكلف بقضايا شمال إفريقيا هو كاروز (Carosz). واعتبر السفير نفسه أن معارضي دهان-خاصة المؤتمر اليهودي العالمي-”يعملون ضد المصالح العليا للدولة العبرية وضد مصالح الجماعات اليهودية في شمال إفريقيا،” كما رأى ضرورة المطالبة بوضع خاص بـ”الأقلية” ليهود المغرب حتى يتيسر وضعهم تحت حماية دولية، وتحضيرهم للرحيل نحو إسرائيل.⁸⁶

مهما كان الأمر، فإن جميع محاولات المؤتمر اليهودي العالمي لخلق جبهة يهودية موحدة قد باءت بالفشل، وذلك نتيجة لتعنت دهان في موقفه. ورغبة منه في تفادي الاصطدام المباشر مع مجلس الجماعات في القضايا المتعلقة بالمفاوضات المغربية الفرنسية المرتقبة، عمل المؤتمر على الاتصال بالرابطة، ثم بالمجلس اليهودي الأمريكي، اللذين أعربا له عن وجود خلاف مع مجلس الجماعات يتعلق تقريبا

84. CZA/Z6/2207, A.L. Easterman: Conference of Jewish Organisation, ibid., 1-2.

85. CZA/Z6/935, Kaplan à Easterman, Paris, 28 juin 1955.

86. Z6/935, Kaplan à Easterman: Rencontre avec l'ambassadeur d'Israël à Paris, Paris, 11 octobre 1955.

بالأمور نفسها التي حصل فيها الجدل بين هذا الأخير والمؤتمر. وسعى المؤتمر إلى استصدار بيان من حزب الاستقلال عبر فيه هذا الأخير عن شجبه لجميع أعمال العنف التي تستهدف الجماعات اليهودية مع اقتراب موعد الذكرى الثالثة لنفي السلطان محمد بن يوسف.⁸⁷ ودلت قرائن كثيرة على أن المؤتمر ظل حريصا على عودة الفضل إليه دون غيره في حماية الجماعات اليهودية والأفراد من غضب الشارع المغربي. وفعلا، أدلى أحمد بلافريج بتصريح صحفي بتاريخ 15 غشت روجت له كثير من وسائل الإعلام جاء فيه:

”لا يوجد أي سبب يجعل اليهود المغاربة يخافون من حصول المغرب على استقلاله، فهم لن يكونوا عرضة لأي ميز. إن اليهود المغاربة سيكونون مواطنين لهم نفس الحقوق والواجبات التي للمسلمين، كما أن حرياتهم الدينية ستظل محترمة. إن المغرب بلدهم وحرية هي حريتهم، وعليه فإننا نطالب اليهود المغاربة بمساعدة المغرب المستقل.“

والحاصل أن المؤتمر اليهودي العالمي نجح في فرض نفسه محاورا رئيسيا في جميع الأمور ذات الصلة بوضع الجماعات اليهودية مستغلا في ذلك وإلى حد كبير سلبية مجلس الجماعات، واستعداد الوطنيين المغاربة للاستفادة من جميع مصادر الدعم الدولي. ثم إن أطره قد أفلحت في إقناع محاورها المغاربة بضرورة وجدوى تمكينهم من المشاركة في جميع المفاوضات السياسية الرامية إلى إيجاد حل للقضية المغربية باعتبارهم مراقبين وأوصياء على مصالح يهود المغرب.⁸⁸ والمؤكد أنه من بين جميع الهيئات والمنظمات اليهودية العالمية المشتغلة في المغرب، حظي المؤتمر اليهودي

87. في 22 يوليو 1955، نشر مايير طوليدانو مقالا مفصلا على صفحات ماروك بريس (Maroc Presse)، في موضوع مستقبل العلاقات بين يهود المغرب ومسلميه. ففي بداية حديثه، عبر عن مشاعر التوتر والخوف التي انتابت الجماعات المغربية منذ سنة 1950، وأشار إلى أن تدهور العلاقات بين المغاربة والفرنسيين أثر بشكل كبير على اليهود. وبعد أن ذكر بالأمن والطمأنينة التي نعم بها اليهود منذ القديم بين جيرانهم المسلمين في وقت كان فيه يهود أوروبا ضحايا الميز والقهر الكنسي، وبوجوب العرفان بالموقف الشجاع للمسلمين في مواجهة قوانين فيشي، أقر بأن يوم 20 غشت 1953 يمثل بالنسبة لليهود يوم حداد. “وشدد على أن الظلم والميز هما عمل استعماري، وأكد على ضرورة أن يجد الفرنسيون والمغاربة مخرجا للأزمة خاصة وأنه في الوقت الراهن “أصبح الشعب المغربي ناضجا مهيبا لتسيير أموره الخاصة بنفسه.

88. MAE/Maroc 1950-55, 22 b (Questions juives et sionisme), A. Kaplan (directeur du Bureau du CJM de Paris) à Geoffroy de Courcel (Directeur du Département Afrique-Orient aux Affaires étrangères), Paris, 14 mars 1955.

العالمي دون غيره بتقدير من سلطات المغرب وحظي بثقتها، وذلك أساسا بفضل الصداقات الشخصية التي عقدت بين أطر المؤتمر وجل الوطنيين المغاربة خلال سنوات المحنة، وكذلك لاعتقاد الوطنيين أن غايات ووسائل المؤتمر مختلفة عما سطرته الهيئات الصهيونية. لقد اعتبروه فاعلا إيجابيا يسعى بدوره إلى الرفع من مستوى عيش المغاربة اليهود داخل المغرب، وهو مسعى يتوافق والغاية التي يندونها بدورهم لأنها تندرج في إطار المخطط العام الرامي إلى الرفع من مستوى معيشة كافة المغاربة على اختلاف عقيدتهم.

Bibliographie

- Assaraf, Robert. *Une certaine histoire des juifs du Maroc*. Paris: Jean-Claude Gawsewitch, 2005.
- Banūna, al-Mahdi. *al-Maghrib. Al-Sanawāt al-Ḥarija*. Jaddah: Kitāb al-Sharq al-'Awsat, Sharikat al-Madīna li al-Ṭibā'a wa al-Nashr, 1989.
- Cohen, Prosper. *Congres juif mondial: conférence extraordinaire de guerre 26-30 novembre 1944*. Casablanca: Éditions SIPEC, 1945.
- Goidan, Etienne. "Le sionisme au Maroc: Contribution à l'étude du judaïsme au Maroc." CHEAM, Rabat, dactylographié, janvier 1946.
- Golan, Jo. *Feuilles de route: mémoires*. Paris: Riveneuve, 2009.
- Laskier, Michael. "Jewish Emigration from Morocco to Israel: Government Policies and the Position of International Jewish Organizations 1944-1956." *Middle Eastern Studies* 3 (July) (1989): 323-362.
- Nataf, Félix. *L'indépendance du Maroc: Témoignage d'action 1950-1956*. Paris: Plon, 1975.
- _____. *Juif maghrébin*. Paris: Fayolle, 1978.
- Nouvel, Le Colonel. "Evolution du judaïsme marocain." CHEAM, Rabat, dactylographié, mai 1947.
- Robinson, Nehemia. *The Jews of French Morocco and Tunisia*. New York: Institute of Jewish Affairs, WJC, 1952.
- Wolkowicz, Steven D., *Mission to Morocco: a Report on Moroccan Jewry*. New York: World Jewish Congress, 1947.
- World Jewish Congress, *Unity and Dispersion: History of the World Jewish Congress*. New York: World Jewish Congress, 1948.

World Jewish Congress, *Survey of Politics and Action 1948-1953*. New York: World Jewish Congress Office, 1953.

World Jewish Congress, *From Stockholm to Brussels: Policy and Action of the Jewish Congress 1959-1966*, Geneva, Report of the Fifth Plenary Assembly, 1966.

ملخص:

*Al-mu'tamar al-yahūdī al-'ālamī wa al-wataniyyūn
al-maghāriba*

المؤتمر اليهودي العالمي والوطنيون المغاربة

يتناول هذا المقال أهم مبادرات المؤتمر اليهودي العالمي في المغرب بين 1943 و 1955، ويسعى إلى وضعها في سياقاتها الزمنية والحديثة مع ورصد أهدافها وتوضيح طرق التعامل مع الفاعلين السياسيين في المغرب، فرنسيين ووطنيين، واختيار أنجع السبل لحل المشاكل الطارئة، وترصد مكامن الاختلاف والتعارض في المواقف بين المؤتمر اليهودي العالمي والتنظيمات الصهيونية، والاستفادة من حسن نوايا شخصيات مغربية نافذة. والمؤكد أن المؤتمر اليهودي العالمي لعب أدوارا حاسمة في اتجاهين، أولها تسهيل عمليات التهجير الجماعية، وسهرت على تنفيذها تنظيمات صهيونية اكتسبت دربة في تهريب البشر، وثانيها ضمان حد أقصى من الحقوق لصالح المغاربة اليهود ممن فضلوا البقاء في بلدهم المغرب.

الكلمات المفتاحية: المؤتمر اليهودي العالمي، الحركة الوطنية المغربية، حزب الاستقلال، حرب الشورى والاستقلال، ضمان الحريات والحقوق للمغاربة اليهود عبد الرحيم بوعبيد، عبد القادر بنجلون.

Résumé: Le Congrès Juif Mondial et les nationalistes marocains

L'article traite de l'implication du Congrès Juif Mondial dans les affaires juives marocaines. Il fut des premiers à mesurer la montée en puissance des nationalistes marocains, et pris l'initiative de nouer avec eux des relations de confiance, et à obtenir des engagements formels relatifs au bon traitement des juifs marocains. Usant tantôt des doléances tantôt de la pression, il eut gain de cause. Les nationalistes marocains s'étaient déclarés favorables aux droits

élémentaires de citoyenneté, de participation à la vie politique, au respect des particularismes..., et surtout au droit d'émigration. A l'indépendance du pays, le Congrès était devenu le principal interlocuteur des autorités chérifiennes.

Mots clés: Congrès Juif Mondial, mouvement national marocain, parti de l'Istiqlal, Parti de la Démocratie et de l'Istiqlal, garanties des droits et des libertés des juifs marocains, Abderrahim Bouabid, Abdel-Kader Benjelloun.

Abstract: The World Jewish Congress and the the Moroccan Nationalists

The article deals with the involvement of the World Jewish Congress in Moroccan Jewish affairs. He was the first to measure the rise of the Moroccan nationalists and took the initiative to establish a relationship of trust with them and to obtain formal commitments concerning the good treatment of Moroccan Jews. Using either grievances or pressure, he was successful. The Moroccan nationalists had declared themselves in favor of the basic rights of citizenship, participation in political life, respect for particularities, and especially the right of emigration. At the independence of the country, Congress had become the main interlocutor of the Sherifian authorities.

Key words: World Jewish Congress, Moroccan National Movement, Istiqlal Party, Democracy and Istiqlal Party, guarantees of rights and freedoms of Moroccan Jews, Abderrahim Bouabid, Abdel-Kader Benjelloun

Resumen: El Congreso Judío Mundial y los Nacionalistas Marroquíes

El artículo se ocupa de la participación del Congreso Judío Mundial en asuntos judíos marroquíes. Él fue el primero en medir el ascenso de los nacionalistas marroquíes, y tomó la iniciativa de establecer con ellos relaciones de confianza, y obtener compromisos formales sobre buen trato a los Judíos de Marruecos. El empleo de los agravios a veces a veces la presión que había ganado. Nacionalistas marroquíes habían apoyado los derechos básicos de la ciudadanía, la participación en la vida política, de respetar las particularidades ... y sobre todo la derecha de la emigración. Con la independencia, el Congreso había convertido en el principal contacto de las autoridades jerifianas.

Palabras clave: Congreso Mundial Judío, Movimiento Nacional de Marruecos, Istiqlal Partido, el Partido por la Democracia y el Istiqlal, garantiza los derechos y libertades de los Judíos de Marruecos, Abderrahim Buabid, Abdel-Kader benjelloun.